الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ابن خلدون – تيارت–
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: نقد حديث ومعاصر

بعنوان:

أدبية الخطاب الفلسفي في كتاب المقابسات لأبي حيان التوحيدي

إعداد الطالبتين:
– العربي كريمة
– بلاق زهية

إشراف الأستاذ :
– أ.د. زروقي عبد القادر

لجنة المناقشة

اسم ولقب الأستاذ :	الدرجة العلمية	الصفة
أ.د. داوود محمد	أستاذ التعليم العالي	رئيسا
أ.د. زروقي عبد القادر	أستاذ التعليم العالي	مشرفا ومقررا
د. منقور صلاح الدين	أستاذ محاضر "أ"	مناقشا

الموسم الجامعي: 1442– 1443هـ 2022/2021

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

الحمد لله الذي بنعمته وفضله تتم الصالحات

نتقدم بأسمى عبارات الشكر والامتنان، وأرقى معاني التوقير والاحترام إلى الأستاذ المشرف زروقي عبد القادر، الذي غمرنا بتواضعه وأخلص لنا في نصائحه وتوجيهاته

فله منا جزيل الشكر وأوقر الاحترام

كما نتوجه بالشكر للسادة المناقشين كل باسمه.

إهـــــداء

إلى قرة عيني، إلى من جعلت الجنة تحت أقدامها، إلى التي حرمت نفسها وأعطتني، ومن نبع حنانها سقتني...إلى من وهبتني الحياة

أمي العزيزة حفظها الله.

إلى من يزيدني انتسابي له ذكرا وفخرا واعتزازا من سهر الليالي من أجل تربيتي وتعليمي، وجعلني أكبر في أزكى وأطهر فضيلة.

أبي العزيز أطال الله بعمره.

إلى الشموع التي تنير لي الطريق إخواني:

خالد- أحمد – ماجر – نجيب – فطيمة – نور – وردة – أسماء.

إلى الجوهرة المضيئة والدرة المصونة اللؤلؤة المكنونة عمي جيلالي

إلى كل ما شئت الأقدار وجمعتني بهم خالاتي وجدتي وزوجات أخي وأولادهم

محمد – لجين – أسينات – حميد – حنين.

زهية

إهـــــداء

بسم الله أبدأ كلامي.

الذي بفضله وصلت لمقامي هذا والحمد والشكر على ما أتاني .

أهدى هذا العمل الى :

والدتي العزيزة حفظها الله ورعاها والتي كان دعائها سر نجاحي وتوفيقي.

والدي الكريم حفظه الله وبارك فيه.

إلى إخوتي: نوال .. هوارية .. محمد وليد

إلى جميع أفراد أسرتي كل باسمه.

إلى صديقتي التي شاركتني وتقاسمت معي أعباء هذا العمل

" زهية"

إلى كل صديقاتي وجميع أحبتي ومن ساعدني على إتمام هذا العمل المتواضع.

كريمة

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم.

لقد حظي التراث الأدبي العربي باهتمام الكثير من المفكرين والنقاد من مجالات معرفية مختلفة، حيث يرجع الفضل لهؤلاء في تطوير العملية الإبداعية الأدبية فهي جزء لا يتجزأ من الظاهرة الإنسانية العامة.

فنجد الكثير من الأدباء والكتاب الذين طوعوا اللغة وجعلوها رهن أفكارهم وذلك في مختلف المجالات، ومن أشهر الأدباء العرب الذين مروا على التاريخ الأدبي نجد الكاتب الملقب بفيلسوف الأدباء وأديب الفلاسفة أبي حيان التوحيدي، الذي حظي هو الآخر بمكانة ومنزلة عند الكثير من العلماء وذلك من خلال مؤلفاته، التي كانت تبرز رؤية التوحيدي للفكر الأدبي ونذكر من أشهر مؤلفاته، الامتناع والمؤانسة، الهوامل والشوامل، ثلاثة رسائل البصائر والذخائر المقابسات...الخ فهذا الأخير (المقابسات) سنسلط الضوء عليه بدراسة معمقة ونكشف من خلاله أدبية التوحيدي، يروي فيه التوحيدي المجالس الفلسفية التي كان يحضرها بنفسه وعبر عن المسائل الفكرية التي شاعت في عصره ونقل صورة حقيقية عما وصلت إليه الحضارة من رقي أدبي وفلسفي كان يهدف من خلاله إلى شيء يقصده هو، هو ما سنناقشه من خلال دراستنا لهذا الكتاب والتي كانت بعنوان "أدبية الخطاب الفلسفي في كتاب المقابسات"، ومن هنا جاز لنا طرح التساؤلات التالية:

- ما هي الدوافع التي أدت بأبي حيان التوحيدي لتأليف كتابه المقابسات؟
- هل المقابسات نصوص أدبية أم فلسفية؟
- ما هي الآليات التي اعتمد عليها التوحيدي في كتابه؟
- كيف استطاع أبي حيان التوحيدي أن يوظف قدراته اللغوية والفكرية؟

فهذه الأسئلة وغيرها تدفع الباحث للغوص في لجة التوحيدي الابداعية حتى يكشف الدرر التي نظم بها التوحيدي مؤلفاته وأعماله الأدبية.

وقد عمدنا في هذه الدراسة إلى تحقيق مجموعة من الأهداف تتلخص فيما يلي:

- كيف تعامل التوحيدي مع النصوص الأدبية التي كان يقدمها.
- دراسة هذا الموضوع بشكل مستقل يعد إضافة جديدة لمكتبة الدارسين به في العديد من الجوانب وبخاصة الجانب الأدبي أي الأدبية.

ومن أهم الأسباب التي دفعتنا إلى الخوض في غمار البحث في أدبية التوحيدي نذكر أهمها:

- الرغبة والفضول والتعمق في الأعمال الأدبية والفنية.
- الغوص في شخصية أبي حيان التوحيدي.
- أسلوب التوحيدي ولغته السهلة والبسيطة فهي لغة أقرب أن تكون لغتنا نحن اليوم.

بعض المراجع المعتمدة في البحث:

هناك دراسات سابقة وموفقة تناولت بالبحث بعض أجزائه نذكرها منها: نحو التوحيدي ومصطلحاته في كتابه المقابسات لدكتورة نرجس عبد الغفار بازهير، حجاجية الخطاب النثري القديم المقابسات للتوحيدي أنموذجا من إعداد الطالب هامل لخضر وهي رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه عوم، البنية الحجاجية في كتاب المقابسات لأبي حيان التوحيدي للطالبة شيخ آمال وهي أيضا رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير.

عمدنا في هذه الدراسة إلى مراجع أساسية وكانت هي محور البحث وهي:

- أبو حيان في كتاب المقابسات لدكتورة نرجس بازهير عبد الغفار.
- المقابسات لأبي حيان التوحيدي تحقيق توفيق حسين وهو محور الدراسة.
- أبو حيان التوحيدي في كتاب المقابسات للدكتور عبد الأمير الأعسم.

أما فيما يتعلق بمنهج الدراسة فقد اعتمدنا في دراستنا هذه على المنهج الوصفي التحليلي لأنه يتناسب مع طبيعة بحثنا بحيث أننا شرحنا أسلوب التوحيدي ووقفنا على أدبيته ومنطقة واصفين محللين.

وبلوغا للغاية من هذا البحث فقد اعتمدنا خطة بحث متكونة من مدخل وفصلين، حيث تناولنا في المدخل قراءة في كتاب المقابسات وأهم الأساسيات التي انطلق منها التوحيدي في تأليف كتابه، أما الفصل الأول عنون بالخطاب الأدبي والخطاب الفلسفي تحدثنا فيه عن ارهاصات الأولى للخطابين الأدبي والفلسفي قسم إلى ثلاثة مباحث وعليه كان عنوان المبحث الأول بماهية الخطاب درسنا فيه الماهية والأصول للخطاب، والمبحث الثاني تكلمنا فيه عن الجذور الأولى للخطاب الأدبي، أما المبحث الثالث فكان حول الخطاب الفلسفي هذا عن الفصل الأول.

أما الفصل الثاني وهو دراسة تطبيقية عنون بالأدبية في كتاب المقابسات حيث انقسم هو الآخر إلى ثلاث مباحث فالمبحث الأول درسنا فيه الأدبية أما المبحث الثاني تكلمنا فيه حول أدبية الحجاج في المقابسات ومبحث ثالث وأخير كان حول بلاغة تركيب الألفاظ والمعاني أما الخاتمة لخصنا فيها أهمية الموضوع.

ومن الصعوبات التي واجهتنا في بحثنا هذا عدم توفر مصادر ومراجع الدراسة لهذا الموضوع كذا تضييق مجال البحث ليشمل فقط القضايا الأدبية في كتاب المقابسات.

ولا يفوتنا في ختام هذه المقدمة أن نشكر الله عز وجل الذي أدرجنا في هذا المقام ووفقنا لإخراج هذا العمل تحت إشراف الأستاذ الدكتور زروقي عبد القادر الذي وجهنا نحو الكمال فجزاه الله كل خير كما لا ننسى كل من ساعدنا ودعمنا لإكمال هذا العمل من قريب أو بعيد.

تيارت يوم: 2022/06/12

العربي كريمة

بلاق زهية

مدخل

أبو حيان التوحيدي (310-414هـ) (922-1023م) فيلسوف متصوف وأديب بارع من أعلام القرن الرابع، امتاز بسعة الثقافة وحدة الذكاء وجمال الأسلوب، ألف كتابه في المقابسات وهو واحد من أهم كتبه يتناول فيه خلاصة مجالسته مع علماء وفلاسفة عصره، حيث قدم المقابسات وألفها بأسلوب أدبي ابداعي، يتسم بالبلاغة الإبداعية فهو أقرب أن نقول أنه كتاب فلسفي بصيغة أدبية إبداعية.

المقابسات:

ثمة شبه اختلاف بين النقاد والمؤرخين في مدى نسبة مضمون هذا الكتاب إلى أبي حيان التوحيدي، فالثابت الأكيد أن أبا حيان هو الذي جمع هذا الكتاب ونظمه ورتبه، والثابت أيضا أن بعضا غير قليل من هذا الكتاب أملاه أبي سليمان السجستاني المنطقي على طلابه في حلقات العلم التي كان يعقدها، وغيره من المشتغلين بالفكر والفلسفة والأدب الذين كانوا يرتادون حلقته ويشاركون في الحوار والنقاش.[1]

تكمن مشكلة نسبة الكتاب في صياغته على الأقل، فمن قائل بأن الأفكار لأبي سليمان ورفاقه والصياغة والشبك والتنظيم لأبي حيان، ومن قائل بأن الكتاب بكليته شكلا ومضمونا لأبي سليمان ورفاقه، ولم يكن للتوحيدي من دور سوى الكتابة وهذا رأي الدكتور شوقي ضيف الذي احتج بوجود بعض المقابسات بحرفيتها في بعض الكتب الأخرى مثل (صوان المحكمة) لأبي سليمان السجستاني أستاذ التوحيدي، على أنه بعض التدخلات للتوحيدي من حذف وزيادة وإضافة، والحق أن وجود بعض المقابسات بحرفيتها في كتب أخرى ليس دليلا كافيا على أن الكتاب كله لأبي سليمان وصحبه، ويذهب المستشرق مايرهود إلى التشكيك في صحة نسبية قسم من كتاب (المقابسات) إلى التوحيدي بقوله "ليس لهذه

[1] – عزة السيد أحمد، من رسائل أبي حيان التوحيدي، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق، 2001، ص87.

المحاورات التي كتب المؤلف بعضها من قيمة كبيرة فهي موضوعة في قالب أدبي، والملح تسودها إلى جانب التلاعب بالألفاظ".[1]

والكتاب بجملته فلسفي الصيغة، أدبي النزعة، فمواضيعه كلها فلسفية، كالجوهر والمادة، والنفس والعقل، والزمان والمكان والمعاد والمعاش... هذا إلى جانب بعض المباحث الأدبية والطرائف والملح والنوادر.[2]

طبع هذا الكتاب أكثر من طبعة منها طبعت مومباي الحجرتين عام 1305هـ و1306هـ بعناية مبرزا محمد الشيرازي، وطبع في مصر عام 1929م بتحقيق حسن السندوبي، بعناية محمد توفيق حسين، صدرت طبعة أخرى من الكتاب ببغداد عام 1970م، وقام مؤخرا الدكتور إبراهيم الكيلاني بإعداد طبعة مختصرة من هذا الكتاب أصدرتها وزارة الثقافة بدمشق عام 1980م.[3]

مفهوم المقابسة:

لقد ألف التوحيدي في أواخر القرن الرابع كتابا يحمل عنوان "المقابسة" وهو كتاب يجمع المجالس الفلسفية التي يقول التوحيدي أنه حضرها بنفسه، وفي كثير من المقابسات يذكر المؤلف مكان الذي أقيمت فيه المقابسة، كما يحدد تاريخها وأسماء الحاضرين والمشتركين فيها، وقد تناول عددا ضخما من قضايا الفلسفية فيما له علاقة بالعقل والنفس والأخلاق وماهية الوجود وغيرها.[4]

[1] – عزة السيد أحمد، من رسائل أبي حيان التوحيدي، ص 87-89.

[2] – المرجع نفسه، ص89.

[3] – المرجع نفسه، ص90.

[4] – د. العياشي أدراوي، الحوار الاختلافي أو المسلك التناظر الكلامي، مساهمة في إعادة بناء أصول التخاطب، افريقيا الشرق، 2012، ص 54.

ويرجع الأصل اللغوي لمصطلح "مقابسة" إلى "القبس" الذي يعني النار، أو الشعلة من النار، كما ورد في معجم "التهذيب" «القبس شعلة من نار نقتبسها من معظم».

وعلى سبيل المجاز: "القبس" يعني أخذ جزء من كل و"القابس" هو اسم فاعل، ويطبق ابن منظور على هذه المعاني قوله: القابس هو طالب الفكر، واقتبست منه علما أي استفدته أما "مقابسة" على صيغة "مفاعلة" وتعني اشتراك اثنين في (القبس) وتحديد يعنى وجود شخصين أو أكثر، كل منهما يأخذ العلم عن الآخر، أي يتجادلان ما لديهما من معارف كل في مجال اختصاصه.[1]

وتوظيف المصطلح من قبل صاحب المقابسات يدل على المعنى نفسه، أي على اشتراك اثنين أو أكثر في محاورة علمية يأخذ فيها العلم واحد على الآخر أو كل من الطرفين عن الآخر بحيث يطرح أحد الحاضرين سؤال حول قضية علمية معينة ويقوم بالرد عليه أحد المختصين في الموضوع، وتتطور المناقشة مع إمكان تدخل بعض الحاضرين للاستفسار أو الإضافة أو التحقيق وفي جميع الأحوال فإن هذا كله يجري في إطار السؤال والجواب، ولا يحاول أحد الحاضرين أو السائلين إظهار ما قد يشوب الجواب من أخطاء أو مغالطات أو أن يرفضه أو يطعن في صحته، ثم إن السائل عادة ما لا يطلب حجة على الجواب.[2]

وبناء عليه يبدوا أن "المقابسات" في شكلها العام شبيهة بالندوات التعليمية التي يحضرها أساتذة وعلماء كثر باعتبار هدفها الأساس التعليم عبر الأسئلة والحوار الفعال، ولذلك فإن فحص النصوص "يظهر مكان يسيطر على مجالس المقابسات من روح التسامح العلمي الذي كان يسود بين العلماء والمثقفين في الاختصاصات والمجالات المختلفة، والذي كان ينتج عن

[1] – د. العياشي أدراوي، الحوار الاختلافي أو مسلك التناظر الكلامي، ص54.

[2] – المرجع نفسه، ص54.

اعتراف كل منهم بمكانة الآخر العلمية وبأهمية كل العلوم، والرغبة الأكيدة، ليس في إظهار جهل الخصم وعجزه، وإنما في الاستفادة مما لديه من علوم"[1].

التعريف بالمدونة (المقابسات):

يعتبر كتاب المقابسات من أنفس مؤلفات (التوحيدي)، فهو ليس كتابا أدبيا فقط، بل هو يعبر عن رؤية (التوحيدي)، وعن الحالة الفكرية في عصره، فقد بلغت الحالة الفكرية في عصر (التوحيدي) مبلغا كبيرا، حيث انفتحت الأمة العربية على الأمم الأخرى، وتواشح الفكر العربي، بالفكر الغربي، خاصة اليوناني والفارسي والهندي، وأضحت معارف الأمم الأخرى تنقل للعرب، من خلال التراجم، التي تسابق الأدباء والكتاب والوراقون إليها، بل واتخذوها حرفة ومهنة.[2]

مقابسات التوحيدي عكست حدود التفكير الفلسفي والمنطقي، كل ذلك كان له أثر بالغ في حياة التوحيدي، الذي حاول جاهدا التواصل مع الأمراء والوزراء وأصحاب الشأن، كما فعل أقرانه وأترابه، من علماء ومثقفي تلك الحقبة كل هذا ظهر جليا من خلال كتاباته، سواء في مؤلفاته أو رسائله وفي أفعاله أيضا، فقد استقراره، وإحراقه لكتبه في آخر حياته، فعل أظهر به – بما لا يدع مجالا للشك –، مدى السقط والحسرة والبؤس، الذي عاشه في حياته، ومن هنا نستطيع أن نفهم السر وراء إظهاره لنقمة وتمعره من الحياة برمتها وما المقابسات التي حوت بعض المشاعر، إلا جزء مما كان يكنه التوحيدي من حقد وسقط على حاله، وحال المجتمع برمته.[3]

[1] – د. العياشي أدراوي، الحوار الاختلافي أو مسلك التناظر الكلامي، ص55.

[2] – هامل لخضر، حجاجية الخطاب النثري القديم المقابسات للتوحيدي أنموذجا، رسالة مدمة لنيل شهادة دكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والفنون، جامعة أحمد بن بلة1، وهران، السنة 2018-2019، ص330.

[3] – المرجع نفسه، ص331.

وكتاب المقابسات فيه 106 مقابسة، تختلف طولا وقصرا فمنها ما أتى في نصف صفحة، ومنها ما يناهز عشرين صفحة، مواضيعها مختلفة، والملاحظ أنها تخلو من الشعر، إلا في واحدة وهي المقابسة التاسعة والثمانون (في كلمات في الزهد وترك الدنيا) أما مواضيع المقابسات، فقد تراوحت بين الفلسفة والمنطق واللغة الأدب، والنحو والبلاغة والخطابة والزهد، والإلهيات والعقيدة، والتصوف وعلوم مختلفة، كعلم النجوم وعلم النفس وغيرها.[1]

تأريخ الكتاب:

ألف التوحيدي كتاب المقابسات بعد دخوله الطور الثاني من حياته أولا، وإنه كان يعد مادته لفترة طويلة امتدت حوالي ثلاثين عاما، وتفسير ذلك، أنه بدأ بتجميع المقابسات منذ 360 وسينتهي منه فيما بعد سنة 386، فكأن الكتاب ظهر وانتشر بعد 386، أي بعد وفاة خصمي التوحيدي الوزيرين ابن العميد وابن عباد، أما الواقع التاريخي فلا يشير إلى قيمة وفاة هذين الوزيرين، وقد توفي الأخير منهما في سنة 385 وبعد هذا التاريخ نقح التوحيدي ونشر كتابه المقابسات[2]

إن زمن تأليف الكتاب امتد بين سنتي 360 إلى 390، وإلى هذا الرأي ذهب محمد توفيق حسين. ولقد جمع محي الدين سبعة شواهد تأريخية محصورة بين سنتي 371 و387 في حين اكتفى توفيق حسين بالإشارة إلى شاهدين يتحددان بسنتي 360 و386. فإذا كان أبو حيان يشير إلى بعض من مقابس في الكتاب باعتبارهم ليسوا على قيد الحياة عند تدوينه للمقابسات المخصصة لمثل هذه الأحاديث والنقول، كما حدث عند إشارته للسجستاني الذي توفي سنة 987/376، وللعاصري الذي توفي سنة 991/381.[3]

---

[1] – هامل لخضر، حجاجية الخطاب النثري القديم المقابسات للتوحيدي أنموذجا، ص332.

[2] – د. عبد الأمير الأعسم، أبو حيان التوحيدي في كتاب المقابسات، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط2، 1983، ص 115.

[3] – المرجع نفسه، ص 116.

وأخيرا ما أشار إليه صراحة من وفاة أبي سعيد بن بكير في ذي القعدة من سنة 137 تشرين الثاني من سنة 996 فمن الممكن لنا بسهولة متابعة نصوص أخرى أشار خلالها لجملة أخرى من المقابس وكأنهم أحياء وهو يدون الكتاب إلى سنة 386. وحسما لأي نزاع حول التأريخ الدقيقي للمقابسات، كما تنبه محي الدين، فإن الانتهاء من تدوينها تم في عهد متأخر من حياة أبي حيان حوالي سنة 390، لأنه يصف حاله وهو يتحدث في مطلع المقابسة الحادية والتسعين، بقوله "...أني نقلت هذا الكتاب والدنيا في عيني مسودة، وأبواب الخير دوني منسدة، لثقل المؤنة، ولقلة المعونة، وفقد المؤنس، وعشار القدم بعد القدم، وانتشار الحال بعد الحال وهذا بعد ضعف الوكن، واشتعال الشيب، وخمود النار، وسوء الجزع، وأفول شمس الحياة، وسقوط نجم العصر، وقلة حصول الزاد، وقرب يوم الرحيل...".[1]

وهذا كله جرى في مجالس مختلفة من مشايخ الوقت بمدينة السلام فماذا يمكن أن يزاد على قول التوحيدي عن نفسه، وهو يؤشر اشتعال الشيب في رأسه، بعد أفول الحياة وسقوط العصر، وقد قرب الرحيل؟ أليس كل هذا يؤكد أنه ألف الكتاب في شكله الأخير وهو طاعن في السن؟ وحتى لو كنا ذهبنا مع الأدلة وهي كثيرة، إلى أن أبا حيان قد بدأ بتصنيف الكتاب حوالي سنة 360 فلا بد من الاعتراف بأنه انتهى منه حوالي سنة 390 فالكتاب، بهذا المعنى يمثل مرحلة متقدمة من النضوج والدعم لفكر أبي حيان وهو في سن عالية، بعد أن خبر الحياة في النظرية والتطبيق، من هنا يأتي رأينا متناقضا لكل رأي يذهب إلى زمن سابق على سنة 390، فهذا إخلال واضح بطلب قراءة نصوص المقابسات نفسها كما ترون.[2]

[1] – د. عبد الأمير الأعسم، أبو حيان التوحيدي في كتاب المقابسات، ص118.

[2] – المرجع نفسه، ص118.

أسباب تأليف الكتاب:

ومن الأسباب التي أدت بأبي حيان التوحيدي إلى تأليف كتاب المقابسات هي أنه شغل بتجميع مواد المقابسات لمدة طويلة، وظهرت في ثناياها أحداث أثرت فيه، فتركت بصماتها على أسلوبه بين كل مقابسة وأخرى. وإذا كانت من عادته أن يهدي كتبه إلى بعض الذين عرفهم من الأعيان والوزراء والكتاب فكتب بعضها بناء على رغبة من أحدهم مشيرا لذلك بصراحة، فإن كتاب المقابسات كتب بناءا على رغبة من مجهول لدينا يقول محي الدين: "أما سبب التأليف فهو، كما يبدو ومن المقدمة، ومن عبارات تخاثرت في الكتاب، تحقيق رغبة التقدم بها الأثيرين عنده: من جمع مسائل في الفلسفة، وأخرى تجري مجراها في الأدب والأخلاق، كما يبدو أنه لم يستجيب لتحقيق رغبة هذا السائل إلا بعد تلكؤ وتمانع منه، وإلا بعد تلطف وإلحاح من السائل، ثم إشارة من يثق بخلته، ويستنير بمشوراته".[1] وهذا الكلام صحيح كل الصحة لكنه في عوز لبيان دواخل التوحيدي وهو يضع بين قارئه حججه في تأليف الكتاب.

يقول أبو حيان: "أطال الله حياتك، وأعز قدرتك، وأكرم مثواك، وقرن النجاح بسعيك، وضاعف منائحه قبلك وأدامها لك، وذبّ عنها ما يكدرها عليك".[2] فمن هو هذا الذي يدعوا له التوحيدي بتأليف الكتاب، فكان على هذا الطاعة والنزول عند الرغبة، حيث يقول: "ثم يذهب على حظي في البدار إلى رسمك، والسرع إلى طاعتك، فيما أشرت إليه، وحضضت عليه، من تضيف أشياء من الفلسفة رويتها لك، تجري معها وتدخل في طرازها وتقوي عمدها وتدل على شرف جوهرها أنافة محلها، عن مشائخ العصر الذي أدركته والزمان الذي لحقتهم فيه".[3]

[1] – د. عبد الأمير الأعسم، أبو حيان التوحيدي في كتاب المقابسات، ص123.

[2] – المرجع نفسه، ص123.

[3] – المرجع نفسه، ص124.

ندرك من مغزى هذا الكلام أن جملة من المقابسات كان قد نقلها إلى هذا المجهول بالرواية والتعليم، وأن أبا حيان يشير إلى الذين روى عنهم هذه المقابسات وكأنهم في زمان غير زمان هذا المجهول، فالتوحيدي وحده هو الذي أدرك زمانهم، فصار بالضرورة مصدرا للمجهول عن أفكارهم وما تنقل المقابسات عنهم؟ إن هذا دليل إضافي يؤكد لدينا أن المقابسات جمعت موادها لزمن طويل زاد على ربع قرن لكن التأليف حدث في عهد متأخر، حتى أن هذا المجهول لم يعرف زمان أولئك المشائخ، والتوحيدي كما يبدوا كان يستعمل طريقة التصنيف الموحد لمسودات المقابسات التي كان يعدها بين حين وآخر، وتحقيق رغبة المجهول أن يجمع هذه المسودات فيعيد النظر فيها ويضيف إليها ليقدمها له فهو يقول: "ووالله ما تلومت على جمعها في كتاب وإهدائها إليك في أقرب وقت على أيسر وجه، إلا لغمرات هذه الدنيا"[1]. إذن تأخر التوحيدي في تحقيق رغبة المجهول في تجميع المقابسات التي أسمعه إياها وأضافت ما جد عنده بعد ذلك، والرغبة عند المجهول لازالت مستمرة أو بمعنى آخر إن التوحيدي ظل على صلة به حتى زمان طال لسنين.[2]

ومن هنا نستنتج أنه كان لأبي حيان التوحيدي الفضل الكبير في تأليف كتاب المقابسات ويستحق منا كل التقدير والاعتراف بمجهوداته.

مضمون الكتاب:

إن الحديث عن موضوعات المقابسات شيق، ويسوقنا إلى جملة من المسائل: تحديد طبيعة المحاورات، واستعراض الأشخاص المتفاعلين في التحاور، والمشاكل التي تناولتها المقابسات جملة وتفصيلا وقبل التعرض لكل ذلك يحق لنا أن نسأل أوَ كان التوحيدي في إعداده لمواد الكتاب يضع نصب عينيه أنه فيما يدونه من مقابسات إنما يسجل في ذلك محاضرة لجلسات

[1] – د. عبد الأمير الأعسم، أبو حيان التوحيدي في كتاب المقابسات، 124.

[2] – المرجع نفسه، ص124.

علمية ضاعت أصولها لأنها جاءت عن طريق المشافهة؟ وبالتالي فإن تدوين تلك المشافهات إنما يجعل من المباحث المبسوطة في مطاوي الكتاب ممثلة لأمرين:

1. إن التدوين اعتمد على التذكر والملاحظات المسجلة في أوقات سبق للتوحيدي عملها، ولم يكن في صميم قصده تأليفها.

2. لا يمكن أن تكون هذه المقابسات هي كل ما كان لدى التوحيدي نقلا عن مجالس العلم في بغداد، فإذن نحن إزاء مسألة اختباره تتناول المقابسات البحث في "ما كانت تعج به في بغداد أنذاك من بحوث في الفلسفة الإلهية والطبيعية، ومن تناول كل مسألة، حتى مسائل اللغة والأدب بمعايير فلسفية نفسية"[1]. ولدى غربلة المقابسات نلاحظ طغيان موضوعات الفلسفة على غيرها طغيانا بدا لي دائما وكأنه مقصود، فأبو حيان اعتنق تلك الأفكار، وآمن بها بعد أن أصبحت رغبته أن يضف أشياء من الفلسفة تلك الأشياء التي "نجد فيها موضوعات فلسفية كقضايا النفس والعقل، والزمان والمكان، والعالمين العلوي والسفلي، والخليقة والمعاد والمادة، والجوهر، والنقطة، والعناصر، وعلاقة النحو الغربي بالمنطق اليوناني وغير ذلك، ونجد أيضا خليقة كتهذيب النفس، والخير، والشر، والفضيلة، والرذيلة، والصداقة، والصديق، إلخ..."[2] واستنادا إلى هذا الحصر فإن "هذا التنوع الكبير في موضوعات المقابسات يجعل من الكتاب متحفا فكريا عجيبا، بحيث يخرج منه القارئ مقنعا بما قاله أبو حيان..."[3] ولا يعسر علينا في هذ المجال أن نلاحظ أن من خلال هذا التنوع "كان واحد من أولئك الأدباء الفلاسفة، أو الفلاسفة الأدباء، الذين حاولوا في القرن الرابع الهجري أن يحيلوا الفلسفة الثقافة شعبية يفيد منها العامة من الناس"[4].

---

[1] – د. عبد الأمير الأعسم، أبو حيان التوحيدي في كتاب المقابسات، ص129.

[2] – المرجع نفسه، ص130.

[3] – المرجع نفسه ص131.

[4] – المرجع نفسه، ص 131.

مميزات الكتاب:

- ✓ مقدمة المؤلف وخاتمة الكتاب وتمثل قمة التألف في الصيانة الأسلوبية وتوظيف الآليات البلاغية.
- ✓ حوارات متفلسفة وهي درجة وسطى من حيث العناية.
- ✓ إملاءات من كتاب الفلاسفة، وضمن هذا النوع تطرح الصياغة الفلسفية والتعابير الجافة الموجزة، وتلاحظ قلة العناية بالعبارة.
- ✓ مناقشة بعض القضايا بشكل مستفيض في الكتاب، موضوع البلاغة، ووظيفتها وخصائصها، كما تمت الإشارة إلى مناقشة قضية المفاضلة بين المنطق والنحو، ومن القضايا المهمة التي ناقشها فلاسفة المقابسات قضية النظم والنثر.[1]

وفي الأخير تبين لنا من كل ما عرفناه عن كتاب المقابسات أن التوحيدي فيلسوف الأدباء وأديب الفلاسفة، وكتابه في المقابسات بالنسبة لنا نحن ليس كتابا أدبيا وفقط، فهو يعبر عن رؤية مؤلفه للواقع الفكري والأدبي، وهذا ما سنحاول الوقوف والتعرف عليه من خلال دراستنا التي سنستثمرها في النصوص لاستخراج أدبية الخطاب الفلسفي للمقابسات.

[1] – د. نرجس عبد الغفار بازهير، نحو التوحيدي ومصطلحاته في كتابه المقابسات، ص 818.

الفصل الأول

الخطاب الأدبي والخطاب الفلسفي

المبحث الأول: ماهية الخطاب

الخطاب لغة:

في القواميس العربية: نقرأ مادة (خطب) في لسان العرب: "الخطب: الأمر الذي تقع فيه المخاطبة والشأن والحال، والخطابة والمخاطبة: مراجعة الكلام وقد خاطبه بالكلام وخطابا، وهما يتخاطبان (...) الخطبة اسم للكلام الذي يتكلم به الخطيب، الكلام المنثور المسجع ونحوه والخطبة مثل الرسالة التي لها اولها وآخرها والمخاطبة مفاعلة من الخطاب والمشاورة.[1]

ويورد صاحب معجم "مقايس اللغة" ملاحظة هامة تؤكد ما استخلص من لسان العرب حيث يقول في مادة (خطب): "الخاء والطاء والباء أصلان أحدهما الكلام بين إثنين."[2]

يعد ابن منظور (ت 711 ه) الخطاب مرادفا للكلام، ويجعل له بداية ونهاية دون أن يغفل خاصية التفاعل فيه. ومن ثم فالخطاب في لسان العرب كلام عادي أو مزخرف له أوله وآخره، وهو يتم بين متخاطبين أو أكثر يدخلان في تفاعل بينهم ولا يضيف القاموس المحيط جديدا في هذا الصدد، حيث يعتبر هو الآخر الخطاب بمثابة الكلام.[3]

أما التهانوي (ت 1191ه) فيعيد الخطاب بحسب أهل اللغة : "توجيه الكلام نحو الغير للإفهام"[4]

أما "المعجم الوسيط" فيشير إلى ما أشارت إليه القواميس السابقة لا سيما لسان العرب والقاموس المحيط. مع بعض الإضافات فالخطاب الكلام والخطاب المفتوح خطاب يوجه إلى

---

[1] – ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، ج14، مادة (خطب)، ص 1194-11995.

[2] – معجم مقاييس اللغة، ابن فارس أبوالحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1999، ص368.

[3] – القاموس المحيط الفيروز أيادي مجد الدين محمد بن يعقوب، تحقيق مكتب تحقيق التراث مؤسسة الرسالة، ط6، 1998.

[4] – التهانوي محمد بن علي ابن القاضي، كشاف الاصطلاحات الفنون، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، ج1، 1996، ص749.

بعض أولى الأمر علانية والخطة الكلام المنثور يخاطب به متكلم فصيح جمعا من الناس إقناعهم والخطيب المتحدث عن القوم.[1]

إن هذا القاموس يضيف ثلاثة أشياء أساسية جديدة : فالذهاب موجه إلى أشخاص محددين، كما أنه يرمي إلى الإقناع، وقد يكون كلام الشخص المتحدث نيابة عن أشخاص آخرين.[2]

ويظهر من المعنى اللغوي ل "الخطاب" اقتصار مفهومه على اللغة المنطوقة في حالة المحاورة المكتوبة في حالة المراسلة، وكأن هناك شروط وجود فعل "التواصل" ليحقق معناه، بإضافة إلى أن "الخطاب" من الألفاظ المتداولة في أصول الفقه ويراد به: "توجيه الكلام نحو الغير للإفهام" كما تتردد في كتب أصول فقه المصطلحات: دليل الخطاب، وفحوى الخطاب ومعنى الخطاب.[3]

في المعاجم الأجنبية:

"الخطاب" مصطلح ألسنتي حديث يعني في الفرنسية Discours وفي الإنجليزية Discourse وتعني حديث محاضرة، خطاب، خاطب، حادث، حاضر، ألقي محاضرة وتحدث إلي.[4]

يورد "روبير الصغير" عدة دلالات للمدخل المعجمي Discours من أهمها:

أ. الموضوع الذي نتكلم فيه.

ب. خطبة شفوية أمام جميع الناس.

---

[1] – ينظر: مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط4، 2004، ص243.

[2] – المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3] – ينظر: نبيل موميد ، حدد الخطاب بين النسقية والوظيفية، مجلة فكرية وثقافية، المغرب، عدد 89، ماي 2007، على موقع الصفحة http://www.aljabriabed.net/n89/06moumid.htm

[4] – ينظر: قاموس الياس العصي، إلياس انطون إلياس دار الجبيل ، بيروت1972، ص191.

ج. كتابة أدبية تعالج موضوعا بطريقة منهجية.

د. التعبير اللفطي عن الفكر (الكلام).

هـ. الكلام وقد يعني ملفوظا قابلا للملاحظة.

و. عالم الخطاب: أي مجموعة أسبقية.[1]

مفهوم الخطاب اصطلاحا:

الخطاب حسب رأي بنفنيست هو وحدة لغوية تفوق الجملة تولد من لغة جماعية.[2]

ويعرفه الأمريكي زليغ هاريس بأنه ملفوظ طويل، أو متتالية من الجمل تتكون من مجموعة متعلقة يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر بواسطة المنهجية التوزيعية وبشكل يجعلنا نظل في مجال لسان محض.[3]

مفهوم الخطاب في البحث اللغوي:

هو فعل النطق أو فاعلية تقول وتصوغ في نظام ما يريد المتحدث قوله، ...هو كتلة لها طابع الفوضى، وحرارة النفس، ورغبة النطق بشيء ليس هو تماما الجملة ولا هو تماما النص، بل هو يريد أن يقول هو فاعلية يمارسها مخاطب يعيش في مكان وفي زمان تاريخي تسود فيه العلاقات الاجتماعية بين الناس.[4]

[1] – ميشال فوكو، حفريات المعرفة ، ترجمة سالم يقوت المركز الثقافي، الدار البرفاء، 4 6 9) در 4.

[2] – فرحان بدري الحربي، الأسلوبية في النقد الحديث دراسة في تحليل الخطاب، طبعة الأولى، 2003-1424، ص40.

[3] – أ.محمد ملياني، محاضرات في تحليل الخطاب لطلبة ل.م.د السداسي الخامس، تخصص دراسات أدبية كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، ص22.

[4] – المرجع نفسه، ص23.

ويعرفه بيار جيرو فيقول: الخطاب يفرز أنماطه الذاتية وسننه العالمية ودلالاته، حتى لكان الخطاب هو معجم بذاته.[1] كل ملفوظ مكتوب يشكل في حد ذاته وحدة تواصلية قائمة الذات.[2]

فورد الخطاب في المعاجم العربية من الكلام، فالخطاب يحمل معنى جوهريا هو الكلام الحامل لرسالة ما، ولقد ضبط المختار الفجاري جوهر دلالة المادة الأصل (خ.ط.ب)، في ثلاثة مستويات:

1. المستوى الأول:

المصدر "خطب" بسكون حرف الطاء ونعني به الشأن، والغرض وقد ورد الخطب في القرآن الكريم خمس مرات موزعة على خمس سور ففي سورة يوسف عليه السلام، يقول جل جلاله "قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ "[3] وفي سورة القصص، عندما سأل موسى المرأتين اللتين وجدهما تذودان عن السقي، لما ورد ماء مدين قال: "مَا خَطْبُكُمَا " أي ما شأنكما من منع السقي[4]،وفي سورة طه عندما خاطب موسى السامري قائلا: "فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ"[5] أي ما شأنك وما غرضك من إضلالك لبني اسرائيل، وأخيرا سورتي الحجر والذاريات، عندما سأل إبراهيم المرسلين قائلا: "قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ"[6] إن مضمون الآيتين هما لا يعني فقط الأمر العادي أو الشأن اليومي للأفراد، بل يحمل دلالة أعمق من ذلك، إنه بالتعبير الحديث "مشروع حضاري" وبتعبير القرآن رسالة للبشرية، فالرسالة

[1] – أ.محمد ملياني، محاضرات في تحليل الخطاب لطلبة ل.م.د السداسي الخامس، ص22-23.

[2] – نعيمة الزهري، تحليل الخطاب في نظرية النحو الوظيفي، دار الأمان، الطبعة الأولى، 2014-1435، ص46.

[3] – القرآن الكريم، سورة يوسف، الآية:51.

[4] – القرآن الكريم، سورة القصص، الآية: 23.

[5] – القرآن الكريم، سورة طه، الآية: 95.

[6] – القرآن الكريم، سورة الحجر الآية: 57.، كذلك سورة الذاريات، الآية: 31.

ليست مجرد كلام فحسب، بل هي كلام حامل لمشروع، والرسالة السماوية هي مشروع مخلص للبشرية، (...) إذن الرسالة خطاب مشروع حضاري.[1]

2. المستوى الثاني:

وهو كلام حامل بالبداهة لشأن أو عرض ما، سواء كان شفهيا أو كتابيا وتشترك في هذه المادة (خ.ط.ب) الأفعال خَطَبَ وخَاطَبَ والمصادر المشتقة منهما، وقد جاء في لسان العرب لابن منظور يقال خطب فلان إلى فلان فخاطبه أي أجابه والخطاب والمخاطبة مراجعة الكلام (...) واسم الكلام الخطبة(...) والخطبة اسم للكلام الذي يتكلم به الخطيب.[2]

وذكر الفعل خاطب في القرآن في سورتي "هود والفرقان" وفي الأولى فقال : "وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ "[3] و الثانية قال : " وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا "[4]، والمعنى هنا مجرد كلام أما لفظ الخطاب فقد في سورة "النبأ" قال الله تعالى في: "رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلرَّحۡمَٰنِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِنۡهُ خِطَابٗا".[5] إذن فالخطاب لغة هو مراجعة الكلام، والكلام هو الرسالة وهو المواجهة بالكلام، وهي الجواب أو ما يخاطب به الرجل صاحبه ونقيضه، وبذلك يكون معنى للخطاب في هذا المجال متمثلا في الحوار، الذي يربطه بدوره ثلاثة عناصر مرسل، مرسل إليه (أي المستقبل والمتلقي) وأخيرا الرسالة[6]

---

[1] – المختاري الفجاري، تأصيل الخطاب في الثقافة العربية، ص30.

[2] – لسان العرب ابن منظور، مادة خطب، ص360

[3] – القرآن الكريم، سورة هود، الآية 37.

[4] – القرآن الكريم، سورة الفرقان، الآية: 63.

[5] – القرآن الكريم، سورة النبأ، الآية: 37.

[6] – عيساني محمد، أصول النقد والتجديد في الخطاب الفلسفي العربي الإسلامي الوسيط (من خلال رسائل الكندي)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في الفلسفة ، 2011/2010، جامعة وهران، ص15.

3. المستوى الثالث:

إنجاز الشأن أو العرض وسلطته، فالخطاب إذن له قدرة تعبوية وسلطة مؤثرة على السامعين فيقال رجل خطيب حسن الخطبة أي يؤثر على سامعيه وجاء في خطبة الحجاج "أمن أهل المحاشد والمخاطب أراد أنت من الذين يخطبون الناس ويحثوهم على الخروج والاجتماع للفتن."[1]

الخطاب نظاما:

من خصائص الخطاب في الثقافة العربية الإسلامية أنه يقوم على ثنائية الخطاب سلطة انطلاقا من أنه في اللغة العربية يمثل سلطة، للتدليل على معنى الخطاب وسلطته وهذا ما نراه لاحقا مع ميشال فوكو في ربطه بين مفهوم الخطاب وسلطة يعتمدها المخاطب أو المؤسسة لتمرير أغراضه وأغراضها.[2]

وهذا ما جعل الخطابات كلها تخضع لثنائية الظاهر والباطن: ظاهرة يقوم بالتغطية والتمويه على المتلقي، وباطن يتسرب إلى المتلقي أثناء عملية التمويه ذاتها.[3]

الخطاب في عملية فرض ذاته وبحثه عن تجسيد سلطته، يقوم بتحسين الكلام عن طريق المحسنات البديعية، كالسجع والطباق والمقابلة، فيتخيل التوازن في الخطاب بين منطوقه ومغفوله، فيأخذ اللفظ ويترك المعنى، وقد شبه ابن خلدون هذه العملية في نظام الدوال ومدلولاتها، بعملية اختلاف في الأواني والماء بقوله "فكما أن الاواني التي يعرف بها الماء من البحر منها أنية الذهب والفضة والصدف والزجاج والخزف والماء واحد من نفسه تختلف الجودة في الأواني المملوءة بالماء

[1] – المختار الفجاري ،تأصيل الخطاب في الثقافة العربية، مجلة الفكر العربي المعاصر، ع 100-101، 1993، ص30.

[2] – عيساني محمد، أصول النقد والتجديد في الخطاب الفلسفي العربي الإسلامي الوسيط (من خلال رسائل الكندي)، ص46.

[3] – المرجع السابق، ص32.

باختلاف جنسها لا باختلاف الماء، كذلك جودة اللغة وبلاغتها في الإستعمال تختلف باختلاف طبقات الكلام من تأليفه.[1]

الخطاب كما يحدد في الثقافة العربية الإسلامية يلتقي في مضمونه مع الخطاب Discours في كونه كلاما بضمر ويصرح، والعرب القدامى لمحوا ذلك في جهازهم المفهومي في ذلك الزمن، فأدركوا منزلة التفكير المجرد في شأن الكلام باعتبارها ظاهرة بشرية، والخلاصة أن الخطاب في الثقافة العربية الاسلامية هو خطاب يمارس سلطته من خلال الاهتمام الذي يوليه لنظام الألفاظ على حساب المعاني وهو اهتمام مدفوع برغبة هذا الخطاب في القيام دائما بمهام إيديولوجية دون الاهتمام بتأسيس معرفة.[2]

معايير الخطاب:

ويرتكز الخطاب على جملة من معايير أهمها:

1. معيار التكوين formation

ويعني أن خطابا كخطاب الاقتصاد السياسي لا يتفرد بناءا على وحدة موضوعاته، ولا على أساس بنيته الشكلية، ولا على انسجام مفاهيمه ولا على اختيارات نظرية أو فلسفية ولكن على أساس قواعد تكون هذه الموضوعات، فلوجود تشكيلة خطابية متفردة يجب تحديد قواعد تكوينها.[3]

[1] – ابن خلدون المقدمة – الدار التونسية للنشر، تونس، ج2، الطبعة الأولى، 1984، ص748.

[2] – ناظم عود خضر، الأصول المعرفية لنظرية التلقي، دار الشروق، عمان، الطبعة الأولى، سنة 1997، ص21.

[3] – الزاوي بوغورة، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشال فوكو، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص117.

2. معيار التحول transformation

لا يمكن الحديث عن وحدة خطابية، كتاريخ الطبيعي، ما لم نجد الشروط التي توفرت في لحظة ما لموضوعاته ونظرياته ومفاهيمه وتشكيله وتحولها في التاريخ.[1]

3. عيار الترابطcorrélation

نقول أن الطب العيادي تشكيلة خطابية مستقلة، إذا استطعنا أن نحدد مختلف علاقاته بالخطابات الأخرى كالخطاب بيولوجي والكيميائي، أو بغير الخطابات كالمؤسسات الأخرى الاجتماعية، والظروف الاقتصادية والسياسية أي تحديد العلاقات الخطابية والغير خطابية.[2]

مبادئ الخطاب:

إن مختلف الطرق والمبادئ التي أتينا على ذكرها تحكمها مبادئ التحليل الاركيولوجي وهي:

1. الندرة rareté:

تدعي النصوص الكلية والوافرة والامتلاء والثراء وهذا بسبب وفرة وكثافة المدلول بالنسبة للدال، أما تحليل المنطوقات والتشكيلات الخطابية، فتسعى إلى سن قانون الندرة وهذا القانون يتخذ عدة أوجه منها أن الكل لا يقال؛ بمعنى تعيين وتحديد منظومة حضور فالتشكيلة الخطابية ليست كلية متنامية ذات ديناميكية أو سكون خاصين بها، بل هب توزيع للتبعثرات والتوزعات والفراغات والفجوات والحدود والتقطعات، وليس ثمة نص خفي، هذا لا يعني أن لا وجود للوفرة.[3]

[1] – الزاوي بوغورة، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشال فوكو ، ص118.

[2] – ميشال فوكو، حفريات المعرفة، ترجمة سالم يقوت، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، المغرب، الطبعة الثانية، 1987، ص.118.

[3] – الزاوي بوغورة، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشال فوكو، ص118.

2. الخارجية: extériorité

وتعني النظر إلى المنطوق أو الخطاب من حيث انتظامه الخارجي، ذلك أن منهجية تاريخ الفكر تقوم على دراسة الوثيقة من الخارج والداخل، قصد الكشف عن مضمونها ودلالتها وانتظامها ومعناها.[1]

3. التراكم: cumul

الخاصية الثالثة هو رصد الأشكال النوعية للتراكم ذلك أن الأرشيف ذاته هو تحليل لأشكال تراكم الخطابات، وعليه فإن تحليل صور التراكم يتطلب النظر إلى المنطوقات من حيث هي أثر مستمر يتخلف ويبقى بعد زوال باعثه وسببه واستمرار ذلك، ليس استمرار مصدره إمكانية استرجاع الباعث الماضي الذي أحدث الصياغة واحياؤه من جديد.[2]

[1] – الزاوي بوغورة، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشال فوكو، ص119.

[2] – مرجع نفسه، ص118.

المبحث الثاني: الخطاب الأدبي:

إن الخطاب الأدبي تسمية للتمييز بين الخطابات لأن وجود خطاب أدبي يفترض وجود خطاب غير أدبي، ولكل من الخطابين خصائص تميزه، والتعرف على جملة الشروط والمقاييس التي تجعل من خطاب معين خطابا أدبيا، فالخطاب الأدبي صياغة مقصورة لذاتها، وصورة ذلك أن لغة الأدب تتميز عن لغة الخطاب العادي بمعطى جوهري، فبينما ينشأ الكلام العادي عن مجموعة انعكاسات مكتسبة بالمران والملكة نرى الخطاب الأدبي صوغ للغة عن وعي وإدراك، إذ ليست اللغة فيه مجرد قناة عبور الدلالات، إنما هي غاية تستوقفنا لذاتها وبينما يكون الخطاب العادي شفافا نرى من خلاله معناه ولا نكاد نراه في ذاته، نجد الخطاب الأدبي على عكسه ثغثا غير شفاف يستوقفنا هو نفسه قبل أن يمكننا اختراقه، فالخطاب العادي منفذ بلوري لا يقوم حاجز أشعة البصر عن اختراقه فيبدو الخطاب نسيجا كلاميا وحواريا واللغة هي الأداة والجوهر لتبليغ رسالته وهذه المقارنة الواضحة بين الخطاب العادي والخطاب الأدبي هي معرفة لتلك الأساسيات التي تساهم في بناء الخطاب الأدبي بطرق أكثر تقنية وحداثية مما يسمو في الإمساك بتلك الاشاعات المضيئة له وتحقق ما يسمى بالأدبية والتي تعطي خصوصية الخطاب الأدبي، والتي يمكن أن تغير إما كهدف يسعى إلى تحقيقه البحث من خلال الخطاب الواصف وإما كمسلمة تعين على تحديد الموضوع المعرفي سلفا.[1]

فللخطاب معايير أسسته وساهمت في بنائه من خلال قيم ووسائل فنية يدركها الكاتب والمتلقي وفي الوقت نفسه مع التغيير الزماني والمكاني ومستويات التلقي باختلاف العوامل الخارجية والداخلية، فيكون الخطاب باعتبار مقروء القارئ ذلك البناء نفسه وقد أصبح موضوعا لعملية إعادة بناء أي نص للقراءة وكيفما كانت درجة وعي القارئ بما يفعله فإنه ولا بد أن يمارس في ذلك النص ما يمارسه صاحب الخطاب عند بناء خطابه ابراز أشياء والسكوت عن أشياء، تقديم أشياء وتأخير أشياء فيسهم القارئ هكذا في إنتاج وجهة النظر بل احدى وجهات النظر التي يحملها الخطاب صراحة أو ضمنا، والقارئ عندما يسهم في انتاج وجهة نظر معينة

[1] – أ.زهيرة بنيني، جماليات الخطاب الأدبي على ضوء الدراسات النقدية الحديثة، ص 164.

من الخطاب، يستعمل هو الآخر أدوات من عنده هي في جملتها وجهة نظر أو جزء منها عناصر صالحة لتكوينها ومن هنا يأتي اختلاف القراءات وتعدد مستوياتها.[1]

والخطاب من هذه الزاوية يعبر عن فكرة ما باحترام تلك القواعد من أجل الوصول إلى الإخبار والإقناع ومن ثم الاعتماد على الوظيفة والجمالية انطلاقا من خصائص اللغوية المشكلة للخطاب والدلالات المتشابكة والمستويات المتعددة المكونة له، ولهذا تحددت وظائف أخرى للخطاب الأدبي حسب تحديد جاكبسون كالوظيفة الانفعالية أو التعبيرية والتي تكشف عن خبايا نفس المبدع والتعبير عن عواطفه وخلجات نفسه ورغبته في التأثير في المتلقي، أما الوظيفة الإبلاغية أو الايصالية فتهدف إلى إفهام المتلقي مضمون الرسالة التي بثها المبدع وذلك عن طريق مضمون الرسالة إلى شخص لتفكيك عناصرها وتوضيح الوظيفة المرجعية الشفرة المشتركة بين المبدع والمتلقي وتسعى لضمان وجودها بحيث يبقى مفهومه بين طرفي الخطاب، أما الوظيفة الانتهاجية فتحافظ على الصلة كما تظل قائمة بين طرفي الخطاب أثناء عملية التخاطب.[2]

[1] – أ.زهيرة بنيني، جماليات الخطاب الأدبي على ضوء الدراسات النقدية الحديثة، ص 164.

[2] – المرجع نفسه، ص164.

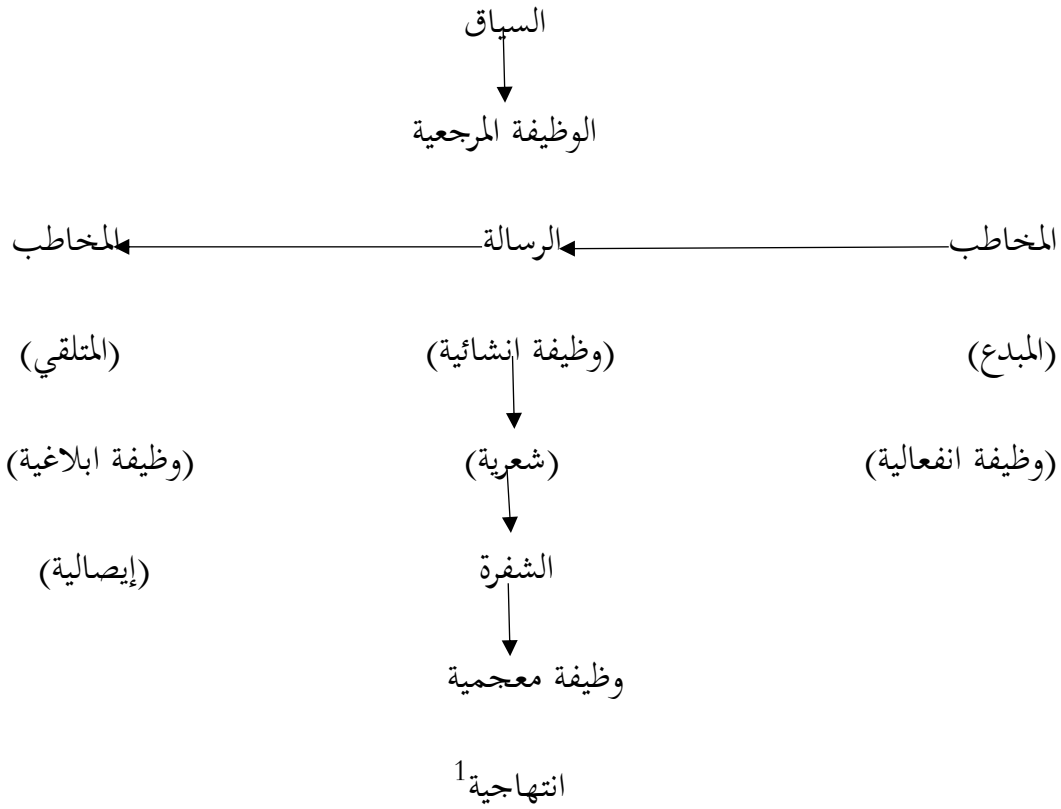

إن الخطاب الأدبي هو الممارسة الأدبية الشفوية أو الكتابية للغة الممارسة بقواعد وشرط فنية مختلفة باختلاف الأنواع والفنون الأدبية، وتتقيد أيضا بقيم جمالية يتعارض عليها كل أمة تبعا لحضارتها وثقافتها ويكون تحليل الخطاب تبعا لذلك هو استخلاص هذه الشروط الفنية أو مكوناتها الأدبية في خطاب ما عبر مستويات متعددة تندرج كلها ضمن وجهي الأثر الأدبي هما الشكل والمضمون.[2]

[1] – أ.زهيرة بنيني، جماليات الخطاب الأدبي على ضوء الدراسات النقدية الحديثة، ص 165.

[2] – المرجع نفسه، 165.

مفهوم الخطاب الأدبي:

يعرف الخطاب الأدبي في الاتجاه الأسلوبي بأنه مفارق لمألوف القول، ومخالف للعادة، وبخروجه هذا يكتسب أدبيته، ويحقق خصوصيته[1] وعليه إن مفهوم الخطاب الأدبي تناوله جملة من النقاد والعلماء العرب والغرب وعليه:

1. الخطاب الأدبي من منظور محمد مفتاح:

- **مدونة كلامية:** يعني أن المؤلف من كلام وليس صورة فوتوغرافية أو رسما أو عمارة أو زيا... وإن كان في التحليل.
- **حدث:** إن كل خطاب هو حدث في زمان ومكان معينين لا يعيد نفسه إعادة مطلقة مثله في ذلك الحدث التاريخي.
- **تواصلي:** يهدف إلى توصيل معلومات ومعارف ونقل تجاربه إلى المتلقي.
- **تفاعلي:** أن الوظيفة التواصلية في اللغة ليست هي كل شيء، فهناك وظائف أخرى للخطاب اللغوي، أهمها الوظيفة التفاعلية التي تقيم علاقاته الاجتماعية بين أفراد المجتمع وتحافظ عليه.
- **مغلق:** ونقصد انغلاق سمته الكتابية الأيقونية التي لها بداية ونهاية ولكنه من الناحية المعنوية هو.
- **تداولي:** إن الحدث اللغوي ليس منبثقا من العدم، وإنما هو متولد من أحداث تاريخية ونفسانية واجتماعية ولغوية وتتناسل منه أحداث لغوية أخرى لاحقة له.[2]

[1] – عبد القادر شرشار، تحليل الخطاب السردي وقضايا النص، دار القدس العربي للنشر والتوزيع، ط1، 2009، ص68.

[2] – نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب الأدبي دراسة في النقد الحديث (تحليل الخطاب الشعري والسردي، الجزء2، دار هومة، 2010، ص81.

2. الخطاب الأدبي عند عبد السلام المسدي:

يعرفه بقوله "هو انقطاع وظيفته المرجعية لأنه يرجعنا إلى شيء ولا يبلغنا أمرا خارجيا، وإنما هو يبلغ ذاته وذاته هي المرجع المنقول في الوقت نفسه ولما كف الخطاب الأدبي، عن أن يقول شيئا عن شيء إثباتا أو نفيا، فإنه هو غدا نفسه قائلا ومقولا وأصبح الخطاب الأدبي من مقولات الحداثة التي تدك تبويب أرسطو للمقولات مطلقا".[1]

3. الخطاب الأدبي عند أنطوان المقديسي:

يرى أن الخطاب الأدبي جملة علائقية إحالية مكتفية بذاتها حتى تكاد تكون مغلقة، ومعنى كونها علائقية أنها مجموعة حدود لأقوام لكل منها بذاتها وهي مكتفية بذاتها، أي أنها –مكانا وزمانا وجودا ومقاييس– لا تحتاج إلى غيرها فالروابط التي تقيمها مع غيرها تؤلف جملة أخرى وهكذا بلا نهاية... فالخطاب الأدبي بهذا المنظور لا تنطبق عليه الثنائيات التي أربكت الفكر الكلاسيكي كالذات والموضوع والداخل والخارج والشرط والمشروط، والصورة والمضمون، والروح والمادة فهو إذن يؤخذ في حضوره لذاته وبذاته.[2]

شعرية الخطاب الأدبي:

في محاولة إيجاد الفيصل بين الخطاب الأدبي والخطاب العادي حاولت المدرسة الشكلانية الروسية أن تفرز هذه الخصوصية في مسمى الأدبية (literatunost) وهذا ما سماه جاكبسون فيما بعد الشعرية poétics فالشعرية هي الوجه الثاني لهذه الخصوصية في إبانتها عن التساؤل ما الذي يجعل من الاتصال اللغوي عملا فنيا؟ وهو العنصر النوعي نفسه الذي يسميه بارث البلاغة تجنب لحصر الشرعية في الشعر وحده، وتأكيد على حقيقته أن مجال الاهتمام هنا هو خصائص وسمات لغوية تشترك فيها جميع أشكال الأدب شعرا ونثرا، تحت مظلة الخطاب النوعي أو الأدبي قصد تحديد الشعرية يصرح تودوروف أنه "ليس العمل

[1] – نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب الأدبي دراسة في النقد الحديث (تحليل الخطاب الشعري والسردي ، ص 81، 82.

[2] – المرجع نفسه، ص 80-81.

الأدبي عن موضوع الشعرية" وإنما تستنطقه من خصائص تسمه بالأدبية، وعليه فالشعرية أداة إجرائية تتكفل "بتلك الخصائص المجردة التي تضع فرادة الحديث الأدبي أي الأدبية"، فالشعرية من هنا تكمن مهنتها في تقصي أثر العلاقات الداخلية للخطاب الأدبي لاستخلاص القوانين العامة، وعليه فمجال اهتمامنا "ليس الأدب باعتباره كائن (être) ولكن باعتباره خطابا" فموضوع الشعرية هو الصفة المميزة للخطاب النوعي أي الأدبية وليس الخطاب الأدبي في ذاته، بحيث إذ كانت الشعرية "تفي الغياب المتمثل في الفجوات الدلالية، فإن الأدبية تبحث في الأنساق والتنظيمات التي حولت الفعل اللفظي إلى أثر أدبي." [1]

إذ كانت المهمة المنوطة بالأسلوبية تكمن في معرفة ما يؤول بالخطاب من كونه عادي إلى كونه أدبي وفق الخصائص اللغوية، وآلياته التعبيرية التي تنأى به عن بعد الإخباري إلى البعد الجمالي، وهو ما تمثله ماهية الأسلوبية في تساؤلها "ما الذي يجعل الخطاب ذا بعد أدبي وفني" فإن استراتيجية الشعرية تختص بالتركيز على آليات الخطاب الأدبي في رحلة استنباط الخصائص "التي تضفي على الخطاب أدبيته" أي الخصائص المجردة التي تمثل الأدبية، لتكون أدبيته هنا النواة التي تدور حولها تساؤلات الأسلوبية والشعرية، لأنهما يعملان على حصر الخصائص الفنية في الخطاب الأدبي[2].

إن مباحث الشعرية في تتبع خصائص الخطاب الأدبي، وتحليل سمات أدبية هي المباحث نفسها التي تتبعها الأسلوبية في تحديد سمات الأدبية في الخطاب.

وفق تزفتان تودوروف إلى بلورة قواعد النظرية الشعرية وذلك في كتابه الأدب والدلالة وقد اتخذ لبحثه محور العلائق التركيبية والعضوية بين الأدب مضمونا ومنطوق، فعالج جدلية استنطاق الأثر الأدبي، وحاول رسم حدود فلسفة المنهج بمطابقة أقامها بين الممارسة العلمية والممارسة العلمية والممارسة الوصفية متخذا منها دعامتي الاستنطاق الوضعي للأدب، وقد توصل تودوروف بذلك إلى رسم معالم منطلقاته الأصولية مما وفر لتحليله حقولا دلالية غزيرة

[1] – د.مكناسي صفية، الخطاب الأدبي بين الحجاجية والشعرية في التفكير النقدي عن حازم القرطاجني، دار كوكب العلوم، 2019، ص41.

[2] – المرجع نفسه، ص42.

المداخل، طريفة النتائج على الرغم من إغراقه في التجريد المحض أحيانا، وأبرز مصادراته في العمل أن الشعرية لا تستطيع الاستغناء عن الأدب لتفحص مقوماتها الذاتية ولكنها في الوقت نفسه تعجز عن استنباط نفسها بنفسها ما لم تتجاوز الأثر الأدبي كان هذا تعليق عبد السلام المسدي على شعرية تودوروف تتحدد من جميع نتاجه في النقد التنظيري والتطبيقي، كما أن الشعرية عنده لا تتأسس على النصوص الأدبية باعتبارها عينات فردية، ولا يهمها الأثر الأدبي في ذاته، إذ ما يتأسس موضوعها على قاعدة المفهوم الاجرائي.[1]

مفهوم الشعرية: (الشعرية (الأدبية) عند تودوروف:

حدد تودوروف مفهوم الشعرية من خلال كتابه "الشعرية" الذي صدر سنة 1987، حيث قال "وجاءت الشعرية فوضعت حد للتوازي القائم على هذا النحو بين التأويل والعلم ففي حقل الدراسات الأدبية وهي بخلاف تأويل الأعمال النوعية، لا تسعى إلى تسمية المعنى بل إلى معرفة القوانين العامة التي تنظم ولادة كل عمل، ولكنها بخلاف هذه العلوم التي هي علم النفس وعلم الاجتماع...الخ، تبحث هذه القوانين داخل الأدب ذاته، فالشعرية إذا مقاربة للأدب مجردة وباطنة في الآن نفسه".[2]

إذن فالشعرية حسب رأي تودوروف تسعى إلى استهداف القوانين العامة ومعرفتها، كما تهدف إلى تنظيم العمل الأدبي.

خصائص الشعرية:

يميز جان كوهن بين ثلاث أنماط الشعر وذلك لتحديد خصائص الشعرية:

[1] – نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب الأدبي دراسة في النقد الحديث (تحليل الخطاب الشعري والسردي، ص 99-100.

[2] – تزفيتان تودوروف، الشعرية، تر: شكري المبخوث ورجاء بن سلامة، دار تويقال للنشر والتوزيع، المغرب، ط1، 1987، ص23.

1. النمط الواقع معروف باسم "القصيدة النثرية" يمكن أن يدعى "قصيدة دلالية" إذ يعتمد في الواقع إلا على هذا الجانب الصنف أعمال ذات اعتبار جمالي مثال: أغاني "مالدورور" أو "موسم في الجحيم" وذلك يدل على أن العناصر الدلالية تكفي وحدها لخلق الجمال المطلوب.

2. أما الصنف الثاني الذي يمكن أن ندعوه "قصائد صوتية" لأنه لا يعتمد من اللغة إلا على عناصرها الصوتية، فلا يمكن أن ندرج فيه على خلاف الأول أي عمل مهم أدبيا والإنتاج الوحيد الذي ينتمي إليه هو انتاج "شعراء يوم الأحد" الذين يقنعون بإضافة القافية والوزن لما لا يعدو، دلاليا أن يكون نثرا، ومن هنا جاء اللقب القدمي "نثر منظوم" الذي أطلق على هذا الإنتاج ويبدو أن في ذلك مزية ليست لصالح النظم بالنظر إلى سلع المردودية الشعرية لهذين المستويين تقويما مقارنا، فكيفما كانت قيمة كل منهما فالثابت أنهما استعملا معا على الدوام في التلقي الشعري الفرنسي.

3. عندما يوجد النمطان السابقان يعطيان هذه الأعمال التي يتلفظ بها في أذهانا اسم الشعر التصاق مباشرا مثل أسطورة القرون « la legende des siecles » أو "أزهار الشر" « les fleurs de mal » فهذه الأشعار التي تكون الفئة الثالثة تستحق أن نعطيها اسم "الشعر الصوتي-الدلالي" أو الشعر الكامل.[1]

[1] – نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب الأدبي دراسة في النقد الحديث (تحليل الخطاب الشعري والسردي، ص 105.

المبحث الثالث: الخطاب الفلسفي

مفهوم الفلسفة:

الأصل الاشتقاقي لكلمة فلسفة:

الفلسفة في أصلها مشتقة من كلمتي (فيلو) ومعناها محبة، أو صداقة أو إيثار و(صوفيا) معناها الحكمة.[1]

وهاتان الكلمتان يونانيتان، وهي لفظ دخيل على العربية وقد نحتها اليونان على طريقتهم في النحت؛ وهي معروفة منذ أقدم العصور المدينة الإغريقية، فيكون المعنى أن الفلسفة هي محبة الحكمة[2] وهذا الأصل جعل معظم مؤرخي الفلسفة يسلمون بأن نشأتها كانت في بلاد اليونان وأنها ظهرت في اليونان على غير مثال سابق لها، إلا أن هذا الأصل المسلم به عند المؤرخين جعل البعض يشكك فيه بعد أن كشف مارتن برنال في كتابه الشهير "أثينا السوداء" أن كلمة « sophia » ليست من أصل إغريقي وإنما هي مشتقة من كلمة مصرية قديمة « sb3 » بمعنى يعلم تعليم، وأن الحرف المصري القديم « b » يقلب أحيانا إلى اليونانية إلى « ph » وعندما يتطابق الأصل اللغوي للكلمة مع التراث القديم الذي يرى أن كلمة « sophia » واردة من مصر، ويرون أن دعوة أفلاطون إلى البحث عن أصل أجنبي لهذه الكلمة في محاور أقراطيوس تؤكد هذا.[3]

تعريف الفلسفة عند اليونان:

---

[1] – محمد الشاهد، الخطاب الفلسفي المعاصر من العام إلى الأعم، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000، ص79.

[2] – هدى الخوالي، الفلسفة اليونانية في القرن السادس إلى القرن الرابع قبل الميلاد، دار الطباعة والنشر، القاهرة، 2011-2012، ص119.

[3] – أفلاطون كرانليوس، الترجمة العربية د.عزمي طه السيد، ص149، منشورات وزارة الثقافة الأردنية، عمان، وأنظر: مقدمة المترجم، ص81.

لقد كانت الفلسفة في أول عهدها زمن طاليس تبحث عن أصل الوجود والصانع والمادة التي أوجدها منها، أو بالأحرى العناصر الأساسية التي تكون منها واستمر هذا النقاش حتى أيام السفسطائيين الذين شاع عنهم أنهم استخدموا الفلسفة في التظليل والتشكيك من أجل تغليب وجهات نظرهم لكن سقراط استطاع تحويل التفكير الفلسفي من التفكير الكون وعناصر تكوينه إلى البحث في ذات الانسان معتمدا في ذلك العقل والمنطق كأساسين من أسس التفكير السليم.[1]

ومن هنا يمكن القول إن اليونانيون كان اتجاههم العام هو تفسير الوجود والوقوف على طبيعته واستخدامهم للمنهج العقلي الذي ابتدعوه، وأقاموا على التعليل المنطقي، والبرهان العقلي، وبعد أرسطو اتجهت الفلسفة إلى التقليد والشرح والجمع دون تجديد يذكر.

نماذج لتعريف الفلسفة:

عرف سقراط الفلسفة بأنها: البحث بواسطة النظر العقلي عن حقائق الأشياء وعن الخير والفضيلة.[2]

عرفها أفلاطون من ناحية موضوعها، أي العناصر التي تتألف منها الفلسفة بأنها: كسب أو تحصيل المعرفة، وعرف الفيلسوف بأنه الشخص الذي غايته الوصول إلى معرفة الأمور الأزلية ومعرفة حقائق الأشياء وهذا التعريف يجعل الفلسفة مرادفة للعلم.[3]

فالفلسفة إذا ليست في معرفة الأشياء المحسوسة، بل في معرفة المعقولات فالفيلسوف لابد أن يكون عالما أولا ثم يشرع بعد ذلك في التفلسف، ثم نجد تعريفا للفلسفة عند أرسطو أدق فيما يسميها بالفلسفة الأولى والثانية لأنها تبحث في العلل الأولى للوجود، وقد أطلق عليها فيما بعد الميتافيزيقا أو علم ما بعد الطبيعة. وهذا التعريف هو بمعناها الضيق المحدود، أما الفلسفة بالمعنى العام واسع النطاق عند أرسطو فقد استمر على الطريقة التي تركها فيها

[1] – أفلاطون كرانليوس، الترجمة العربية د.عزمي طه السيد، ص90

[2] – محمد غلاب، الفلسلفة الاغريقية، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثانية، ج1، ص161.

[3] – السيد محمد أبو الفيض المنوفي، تهافت الفلسفة، دار الكتاب العربي بيروت، طبعة سنة 1967، ص20.

أفلاطون، والتي تشمل البحث في جميع العلوم للوصول إلى الحقائق الكامنة فيها، فقد أصبح تعريف الفلسفة عنده "كل بحث علمي يراد به الوصول إلى الحقيقة أيا كان نوع هذا البحث.[1]

أما في الفلسفة العربية فنجد أن الفلاسفة العرب قد تفاعلوا مع هذه التعريفات الكثيرة للفلسفة، فالكندي قد ساق ستة تعريفات مأثورة عن فلاسفة اليونان القدماء فقال:[2]

الفلسفة حدها القدماء بعدة حروف:

أ. إما من اشتقاق اسمها وهو حب الحكمة.

ب. وحدوها أيضا من جهة فعلها، فقالوا إن الفلسفة هي التشبه بأفعال الله تعالى بقدر طاقة الانسان، أرادوا أن يكون الإنسان كامل الفضيلة.

ت. وحددوها أيضا من جهة فعلها، فقالوا العناية بالموت، والموت عندهم موتان: طبيعي وهو ترك النفس واستعمال البدن، والثاني إماتة الشهوات فهذا هو الموت الذي قصدوا إليه لأن إماتة الشهوات هي السبيل إلى الفضيلة.

ج. وحددوها أي من جهة العلة، فقالوا صناعة الصناعات وحكمة الحكم.

د. وحدوها أيضا فقالوا الفلسفة معرفة الإنسان بنفسه.

و. وأما ما بحد به عين الفلسفة، فهو أن الفلسفة علم الأشياء الأبدية الكلية، إنباتها وما يئيها وعللها بقدر الإنسان.[3]

فالكندي هنا يذكر ستة تعريفات للفلسفة، وهي تشمل كل ما قيل في تعريفها ولا ينقصها إلا تعريف أرسطو للفلسفة بمعناه الخاص الذي تقدم معنا وتعريف المدرسة الرواقية المشهورة وهو أن الفلسفة معرفة الأمور الإلهية والإنسانية.

---

[1] – أرفيد كوليه، المدخل إلى الفلسفة، مكتبة دار النهضة المصرية، الطبعة الخامسة، ص98.

[2]– المرجع نفسه، ص09.

[3] – رسالة الكندي في حدود الأشياء، ضمن رسائل الكندي الفلسفية (121-123) تحقيق محمد عبد الهادي أبو ريدة الفكر العربي، ص120.

ويشير محمد أبو ريده في تعليقه على رسائل الكندي الفلسفية بأن التعريف الثاني عند الفرابي والثالث موجود معناه عند ابن سينا وهو ينسبه إلى أفلاطون أما التعريف الخامس فهو الحكمة المشهورة المأثورة عن سقراط وغيره، وأما التعريف الثاني والثالث فمشهور عند أفلاطون والسادس أقرب لفهم أفلاطون للفلسفة.[1]

مفهوم الخطاب الفلسفي:

يقول علي حرب في مفهوم الخطاب الفلسفي لقد تبدلت النظرة إلى النص الفلسفي تبدلا كليا فلم يعد يقرأ بوصفه خطاب الحقيقة المطلقة والماهيات الأزلية والهويات الصافية والتقنيات الثابتة، فليس الخطاب الفلسفي هو خطاب البرهان القاطع، والتركيب المحكم والوضوح التام والتميز الحاسم والتطابق الكلي، وإنما هو خطاب تعمل على تشكيلة لعبة القوى والسلطات ويتحكم في انتاجه خليط من الرغبات والاستراتيجيات، ويبنى على منظومة من الاعتقادات والأوهام.[2]

لقد أعطى "علي حرب" فهما آخر للخطاب الفلسفي بنظرة جديدة حيث أصبح الخطاب الفلسفي عبارة عن مزج من الأهواء، والرغبات، وأصبحت تؤثر فيه الثقافة والمحيط الاجتماعي والفعل اللغوي يدعى أحيانا بالفعل الكلامي أو الفعل الخطابي discoure de acte أحد المفاهيم الأساسية في اللسانيات التداولية، ويعود الفضل في تنظيره إلى الفيلسوف (أوستن 1979) وساهم في تعقيمه سورل 1972 والمقصود به الوحدة الصغرى التي بفضلها تحقق اللغة فعلا بعينه (أمر–طلب–وعد)، غايته تغيير حال المتخاطبين.[3]

الخطاب الفلسفي الحديث عن ماهية الأشياء أو عن عللها ويكون من أجل معرفة الحقائق ومعرفة مصادرها "فالخطاب الفلسفي" هو خطاب معرفي بغض النظر عن موضوعه ولا

[1] – رسالة الكندي، في حدود الأشياء ورسومها، ص 123.

[2] – حرب علي، نقد الحقيقة، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2000م، ص21.

[3] – مانغونو دومنيك، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، دار العربية للعلوم، ط1، لبنان، 2008م، ص07.

يمكن أن يكون هناك حديث فلسفي دون أن يكون هناك حديث عن معرفة حقائق الأشياء، وعن معرفة عللها، فالفلسفة معرفة تريد أن تكون دائما قصوى مطلقة.[1]

يقول أرسطو: "إننا نرى أننا نعرف شيئا معرفة مطلقة وليست معرفة عرضية على طريق السفسطائيون عندما نعتمد أننا نعرف العلة التي أوجدت الشيء، وإن هذه العلة هي علته وإن الشيء لا يمكن أن يكون على غير ما هو عليه.[2]

ويقصد أرسطو بالمعرفة المطلقة، المعرفة الفلسفية وبهذا يكون الخطاب الفلسفي ويقصد أرسطو بالمعرفة المطلقة على أنها هي المعرفة الفلسفية، وبهذا يكون الخطاب الفلسفي كشف عن الماهيات وعن علل الأشياء، ولذلك فإن تبيان أو توضيح الماهية والعلة يكون بالعمل العقلي الذي يكون بفضل الإقناع بواسطة الحجج التي تستخدم، فذلك الحجج تكون محبوسة في قالب لغوي صريح، فإن المستدل بها يفهمها للمستمع، ولهذا فإن صاحب الخطاب يكيف بين الحجج المستعملة حتى يحدث تناسق وتكامل داخل خطابه فيمكن المتلقي من الاستيعاب والفهم والباحث لما يفكر لنفسه فإنه يفكر لغيره.[3]

وإذا أردنا الحديث عن الداعي لوجود خطاب فلسفي، فإننا نجد أن الخطاب لا يتولد إلا إذا وجد لدى صاحبه مشكلة أو التباس يحول بينه وبين معرفة حقائق الأشياء التي من خلالها يحاول الذهن المبادر إلى الكشف عن الغموض، وفي عنوان المشكلة التي تلفت الانتباه للذهن في الوهلة الأولى، فيبادر مسرعا من أجل الكشف عن الغموض والالتباس، وبهذا فإن المشكلة شرط ضروري لوجود الخطاب الفلسفي، لكن المشاكل لا توجد نفسها بنفسها وإنما الباحث هو من يكتشفها ويبتكرها، فاكتشاف المشاكل الفلسفية هو دليل على القدرة في البحث الفلسفي، وعلى هذه المشاكل كما أنه ليس بإمكان الناس جميعا اكتشاف المشاكل وحلها وحتى لو كان كذلك، فإننا نجد الباحث يختلف في طرحه عن الناس العامة وذلك لما لديه من حاجة في البحث الفلسفي الذي يتولد من الإحساس والقلق المعرفي، وفي حقيقة الأمر

[1] – محمد يعقوبي، أصول الخطاب الفلسفي، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1995، ص18.

[2] – المرجع نفسه، ص18.

[3] – المرجع نفسه، ص18.

أن هذا ما دعا إلى ابتكار الخطاب الفلسفي، وجعل الباحث يخاطب غيره بلغة الفلسفة وبتفكير فلسفي خاص.[1]

تعريف الخطاب الفلسفي:

الخطاب الفلسفي هو علم يتغذى في القديم على الميتافيزيقا، والدين أما الآن وفي العصر الحديث فتتغذى تلك الفلسفة على الممارسات الاجتماعية الكلية للإنسان وهو بنية فكرية أو فلسفية موجودة في وسائل التعبير اللغوي، والخطاب الفلسفي له موضوعات ويندرج موضوعاته بين العمومية والخصوصية وتتمثل النظرة العملية للقانون الفلسفي مرتبط بإحكام منظور الفلسفة القانونية كفلسفة عملية.[2]

مميزات الخطاب الفلسفي:

- يتميز الخطاب الفلسفي بقدرته على التعميم، والتجريد وكيفية صياغة القانون بطريقة مثالية وصحيحة مراعيا الجوانب الإنسانية، ويعاصر الحضارات المختلفة، كما أنه يخاطب جمهور المختصين بعيدا على انتماءاتهم الدينية والعرقية والسياسية.
- يرتكز الخطاب الفلسفي على العقل والمنهجية والدليل كطريقة من طرف تأصيل الأفكار وتحليلها، والتركيز على محاور جوهرية ألا وهي بناء فلسفة عقلانية، وبناء نسق وسطي معتدل، والتوظيف العقلي للدين مع المساهمة في بناء علمي منهجي مثير.
- يتميز بالمصداقية التي يقترنها الإثبات بكافة الطرق، وفلسفة المواطنة في عصر التنوير المعقول واللامعقول في الأديان وهي النظرة التي كشفت العديد من الأفكار القديمة في الفكر الإسلامي.

[1] – محمد يعقوبي، أصول الخطاب الفلسفي، ص86

[2] – مقالة المرسال، ما هو الخطاب الفلسفي كتابة Tomadham آخر تحديث 22 مارس 2021، 17:34، ص03.

- يمثل بنية فكرية علمية، وفلسفية تكمن في وسائل التعبير اللغوي في هيئة أبحاث أو كتب أو مراجع أو مناظرات وذلك على مستوى المجتمع بأكمله أو الفرد ويتطرق الخطاب الفلسفي إلى موضوعات متعددة تندرج تحت مبدأ الخصوصية والعمومية.
- يعتبر نظام للحوار المباشر والغير المباشر والذي ينبع من العلم والفتوحات الثورة في ذلك الوقت وهو من العلوم التي تنشغل بالنفس وأحوالها وكيفية تقويم ذاته وتهيئتها وهو يبدأ، وينتهي بقواعد العقل، والواقع مع الأخذ في الاعتبار أن العقل مطابق للواقع والعكس بالعكس.
- يساعد في معالجة القضية الشائكة الممثلة في إعادة صياغة العلاقات القائمة بين الفلسفة القانونية كنظام "خاص" أو "قطاعي" أو "تطبيقي" أو "إقليمي" بدلا من "العام".
- يتميز باتساق المنطقي وعدم التناقض والتعارض مع الذات وهو من عوامل ظهور الفلسفة وله علاقات متعددة بمرجعاته المختلفة الأبعاد والتراكيب وتصفية التناقضات والتعارضات في النص الجديد وله دور في استقلال الذات وشعورها بالقناعة. والامتلاء والكفاية المعرفية.[1]

تاريخية الخطاب الفلسفي:

إن الحاجة إلى إنتاج خطاب فلسفي إسلامي في العصر الوسيط، كان نتيجة الوعي الحاد بتناهي النص ولا تناهي الحالات والتوازن، وهذا ما دفع بعملية الاجتهاد لبذل الجهد في استنباط الأحكام الشرعية من عبارات المتناهي، وذلك بالبحث في الحالة المستجدة عن معنى أو وصف ظاهرة منضبط يصلح مناطا لحكم شرعي يحكم به بناء عن ذلك المعنى.[2]

[1] – مقالة المرسال، ما هو الخطاب الفلسفي كتابة Tomadham آخر تحديث 22 مارس 2021، 17:34، ص03.

[2]– سالم يقوت، حفريات المعرفة العربية الاسلامية، دار الطبعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 1990، ص06.

وكان للتمازج الثقافي بين الثقافة اليونانية القديمة والثقافة العربية الإسلامية الوسيطة الأثر الكبير على العديد من الفلاسفة المسلمين الذين عرفوا عن طريق الترجمة من (اليونانية إلى العربية) جل مؤلفات أفلاطون Platon وأرسطو Aristote الأساسية.[1]

لقد عرفت في المراحل الأولى لنشوء الفلسفة الإسلامية تقريبا جل مؤلفات أرسطو الأساسية ومن قبله أفلاطون، وكذلك الفيلسوف الاسكندراني أفلوطين ممثل الأفلاطونية الجديدة، حيث تكون نتيجة لذلك (نقل التراث الفلسفي اليوناني إلى العربية)، وضع فكري جديد من حيث التمازج العميق يبين هذا التراث اليوناني وثقافة المجتمع الجديد الإسلامي.[2]

كما أن الاطلاع على جميع ميادين فلسفية يمكن الباحث من معرفة حدود كل ميدان حتى يتمكن من العطاء والكتابة في ضروب الخطابات الفلسفية، لقد دخلت الفلسفة عن المتطوعة الفكرية للحضارات منذ أمد يعيد كفكر جديد ومزج متجانس من النوع الأدبي وفق منهج مختلف عن ذلك الذي عرفت به التيارات الفكرية السابقة فأحدثت آنذاك ثورة فكرية هائلة، فعندما غزت الفلسفة صروح الفكر الإنساني غزتها بقوة من مما جعلتها تفرض نفسها كفكر جديد وكهرم بجانب الأهرام الفكرية الأخرى، دخلت للعالم الإسلامي وتوغلت مع تياراته الفكرية الأخرى كجزء من المنظومة ثم تطورت خلال التجربة الإنسانية تدريجيا عبر قرون من الزمان حاملة معها عبق شتى الحضارات، ثم انبثق عنها الخطاب الفلسفي وأصبح أيضا جزءا مهما من أيديولوجية الفكر العربي واتخذ جزءا كبيرا من اهتمام المفكرين، فتملكتهم الروح الفلسفية وإن تطرقنا إلى تعريف مختصر للخطاب الفلسفي فما هو إلا مجموعة نصوص ذات مضامين محددة وموجهة لنوعية وفئات معينة ومرتبط بإطار نظري مفاهيمي ومنسق وفق مناهج خاصة ومحددة وقد جاء نتيجة تطورات فرضتها متغيرات كثيرة فرضت نفسها كصيرورة للعلاقة الذهبية بين الأدب والفلسفة في رحلتها عبر العصور، فهو إذن خطاب بنيته ذات سياق سوسيو بيداغوجي ويكون صاحب الخطاب ذو خلفية وإيديولوجية فلسفية من قيم ورؤى ورموز

[1] – سالم يقوت، حفريات المعرفة العربية الاسلامية، ، ص06.

[2] – عيساني، أمحمد، أصول النقد والتجديد في الخطاب العربي الإسلامي (من خلال رسائل الكندي)، رسالة دكتوراه في الفلسفة، 2011/2010، جامعة وهران، ص03.

وتصورات وغيرها، فهو عكس الفلسفة التي تعطينا معرفة ضيقة في حدود الفلسفة فقط في حين أن الخطاب الفلسفي هو مزج لمجموعة كبيرة من مفاهيم ذات طابع بيداغوجي من علم النفس وعلم الاجتماع وعلم المنطق وعلوم فكرية...الخ، وسيبقى الخطاب الفلسفي آلية فكرية قوية أثرت منظومتها المعرفية بنوعية فكرية قيمة وبمجموعة من المفاهيم الكبرى والهادفة.[1]

حيث يعتبر النص مفتاحا لتجديد الخطاب الفلسفي والعلوم الإنسانية بصفة عامة إن الفيلسوف لا يبرهن ليقنع الآخرين فقط، بل ليمارس عليهم فضائل الاقناع، وبهدف الاهتداء إلى التحليل والانخراط في مسار الحقيقة كذلك.[2]

وهذا ما يجعل من الخطاب الفلسفي يمتلك وصفا بلاغيا يزاوج بين التأثير الأسلوبي والاستدلالي، والتأثير الذاتي يختبئ في عاطفة تشكل روح النص الفلسفي، إن النص يمكننا من التفلسف وكذلك يساعدنا على الكتابة الفلسفية، وينهي ملكة الطالب، ويمكنه من التساؤل والحوار وبهذا يدفع النص الطالب على التفكير الحر، وإلى التفلسف ويقدم له مبادئ عن الفلسفة واحد من أهم المشاريع في تأسيس للخطاب الفلسفي.[3]

حيث بدأ تأسيس الخطاب الفلسفي عند الكندي عندما بدأ في عملية ترجمة كتب اليونان والعمل على إرساء جسور بين الحضارات الشرقية القديمة والحضارة العربية الإسلامية الناشئة باعتماد على فنية من السريان الذين كانت لهم دراية مشهودة بلغة اليونان وترجمتها إلى اللغة العربية بتشجيع من السلطات القائمة في ذلك الوقت، ويشير الشنواني (2007) أن المباحث الفلسفية كانت في القرنين الأول والثاني الهجرية في أيدي النصارى من السريان الذين معظمهم أطباء استعان بهم الخلفاء في العلاج وحثوهم على نقل الطلب والفلسفة إلى أن

[1] – مقال: قراءة في آفاق فلسفية بعنوان "الخطاب الفلسفي انبثق من النظريات الفلسفية المحضة بمعايير متجددة وخرج بمفاهيم (سوسيو–بيداغوجية) مختلفة نقلت الفكر الفلسفي إلى مضمون شامل وأوسع بقلم يوسف القصير بتاريخ 02-01-2021، ص194.

[2] – بن ظافر الشهري عبد الهادي، استراتيجيات الخطابات المعرفية التداولية، دار الكتب الجديدة المتحدة، ط1، لبنان، بيروت، ص98

[3] – المرجع نفسه، ص150.

شاركهم الكندي بعد ذلك على الشروح لهذه الكتب وبخاصة لأفلاطون وأرسطو هذا الأخير الذي تأثر به في الكثير من القضايا التي عملتها بطون كتبه وهذا لا يعني أن الرجل كان مقلدا أعمى وأنه يتبنى كل أفكاره أو أن فلسفته متطابقة مع هؤلاء فقد اختلف معهما في الكثير من القضايا الأخرى التي تصطدم مع قناعة الأصوليين وعلماء الكلام وإن فسرها بعض الدارسين بخاصة في عصرنا الحالي بأن ذلك يعبر عن أصالة الكندي ودليل على انتمائه.[1]

لقد شهد الخطاب الفلسفي الديني انقسام في موقفه من العقل إلى خطابين أحدهما ديني يتجاهل العقل وآخر جعل من الإيمان وسيلة للفهم ويمثله، وكذلك أبو حامد الغزالي "العقل هو الطريق إلى الإيمان والعمل بالتكاليف الشرعية.[2]

معالم الخطاب الفلسفي:

للخطاب الفلسفي فضاءان يتحرك من خلالهما، حيث أنه لا يمكن الاستغناء عنهما ولا يمكن لهذين الفضائين الاستغناء أيضا عن الخطاب الفلسفي، وهما الفضاء الديني والفضاء العلمي، إلا أن هناك فضاءا ثالثا لا يمكن أن يأخذ بعين الاعتبار وهو الفضاء السياسي.

حيث أننا نجد أنه لابد من أن يأخذ الخطاب الفلسفي بكل هذه الفضاءات فللحاكم خطابه الذي لابد أن يحمل جزء من أفكار الفيلسوف دار السياسة، فالفلسفة لم تترك المجال أي مجال إلا وتضمنته، من خلال دراستها، ولهذا نجد خطاب الحاكم فبه لمسة من الفلسفة السياسية.[3]

[1] – الكندي وتأسيس الخطاب الفلسفي الإسلامي، بن عليه مسعود مركز البحث في العلوم الانسانية والحضارة، الأغواط، مجل تربية عمل، العدد 2016/12/2، ص25.

[2] – الشاهد محمد السيد، الخطاب الفلسفي من العام إلى الأعم، ص149.

[3] – الشيخ شبر الفقيه، الخطاب الفلسفي المعاصر من العام إلى الأعم، دار قباء، مصر، 2000، ص 25.

وتتحدد هذه العلاقات عبر التاريخ، وذلك من خلال دعوة أفلاطون إلى فلسفة الحكام أو حكم الفلاسفة، فتاريخ المعرفة يرتبط بتاريخ السلطة "فالسلطة تبحث في سند معرفي والمعرفة تبحث عن سند سلطوي."[1]

وكذا إذا ما تحدثنا عن الخطاب الديني فإننا سوف نجد في أفكار فلسفية وكأن خطابنا خطاب فلسفي، فالخطاب الديني نبغ بصبغة فلسفية خالصة، فلا يخلو الدين من الفلسفة في حديثه ومواضيعه، كون أن هناك علاقة بين الدين والفلسفة، حيث كلاهما يدعوا إلى الحكمة والبحث والتأمل ونلمس هذا المزج بينهما من خلال فلسفة الدين كنموذج، وإن كان هناك نماذج كثيرة ومتعددة عربية وغربية في هذا الجانب.

الفرق بين الخطاب الأدبي والخطاب الفلسفي (موازنة):

للخطاب أنواع عدة تتمايز في بنائها وطبيعتها وأهدافها ومناهج دراستها، وهذا ما تهتم به نظريات الخطاب التي تعهد إلى تجنيس الخطابات، ولعل البحث في خصوصية الخطاب الأدبي والخطاب الفلسفي والكشف عن أوجه التشابه والاختلاف من القضايا المهمة والمتشبعة المداخل.[2]

1. يمتاز الخطاب الأدبي عن غيره من الخطابات بكثير من المميزات التي تكفل له ماهية خاصة وتمنحه نوعا من الاستقلالية التي تجعل من تحديده وتمييزه عملية سهلة لا تعقيد فيها، بوصفه خطابا ابداعيا يتخذ من طريقة التعبير وجمالية الأسلوب ركنا لا يمكن أن يتنازل عنه كما يعتمد على أدبية اللغة التي تكون لها الكلمة الفصل في تمييز هذا النوع من الخطاب عن غيره من الخطابات الإنسانية، يتعامل الخطاب الأدبي مع اللغة باعتبارها مادة ومهمته تتجاوز الاخبار

[1] – الشيخ شبر الفقيه، الخطاب الفلسفي المعاصر من العام إلى الأعم، ص29.

[2] – خضرة حمراوي، بين الخطاب الأدبي والخطاب الفلسفي، بحث في الخصوصية، مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية والاجتماعية، volume 11، n21، p357,372، 01-06-2021.

عن العالم إلى إعادة تشكيله أو التساؤل حوله كما أنه ينظر إلى اللغة نفسها بوصفها الأساس في العملية الإبداعية.[1]

يتميز عن باقي الخطابات في نقاط كثيرة يظهر ذلك عند الإشارة إلى كون النص الأدبي يشكل نصا مغلقا، ذلك أن منتج الخطاب مبدعه وخالقه من معدن آخر أفسح لذاته تعاملا مع الكتابة واللغة، لا يشبه في عمقه التعاملات السائدة والمتعارف عليها من هنا لا يعطي النص الأدبي نفسه إلا لفئة معينة إنه مغلق على الكل إلا للفئة المنتجة له، فداخل الخطاب الأدبي يظهر التعارض بين الشعر والنثر وهو تعارض مليء بالإثارات مثل كون الشعر بحث عن التشاكل بين التعبير والمضمون، وثمة تعارض آخر داخل الخطاب الأدبي النثري مثل التعارض بين القصة والرواية.[2]

فالخطاب الأدبي من طبيعته بل من شروط أدبيته أن يجعل الأشياء المألوفة تبدو وكأنها غير مألوفة.[3]

2. أما الخطاب الفلسفي يختلف هو الآخر عن الخطاب الأدبي فيما يلي: يخاطب الأشخاص الأحرار، بحيث لا يعتمد الخطاب الفلسفي على المراجع قوية مثل الأيديولوجية الدينية أو القوميات والتعصبات العرقية، يعتمد الخطاب الفلسفي دائما على التجربة الإنسانية وخطاباتها المباشرة، لأنه في الماضي كان مرتبطا بالميتافيزيقيا والدين، ثم عاش واستمر بالعلم والتاريخ، يعيد تعريف الفلسفة بشكل منهجي في ضوء الإنجازات والتطورات النقدية في العلوم الطبيعية والإنسانية ومع ذلك فلا يزال يهتم بالواقع وخطاباته المختلفة.

[1] – عمر ابن عبد العزيز، خصوصية الخطاب الأدبي وجمالية الانزياح، الجزيرة الثقافية، العدد 359، 05-01-2012.

[2] – عبد الكريم الجمعاوي، الخطاب الأدبي وعلاقته بالحقول المعرفية، المجلة، الفهرس 90-81.

[3] – سليمة محفوظي، الخطاب الأدبي، المعرفة، m.marefa.org

يعتبر حوارا مباشر وغير مباشر مع العصور القديمة والحاضر هو تجادل لا ينتهي للأفكار والأساليب والمذاهب مع الآخر بين لتحقيق الإبداع والأصالة، مع استثماره صاحب الخطاب في نفسه لتطوير خطابه المثالي ودفن تعابيره الغير واضحة.

يمكن للخطاب الفلسفي أن يعبر عن ثقافة معينة في حد ذاته، وكذلك عن حوار الثقافات أو حوار الخطابات الفلسفية للثقافات المختلفة لا يحدث التفاعل الإيجابي مع المجتمع الفلسفي البشري المعاصر فقط من خلال تبادل المعلومات ونشر البحوث الفلسفية، ولكن أيضا من خلال الخطاب الفلسفي، فإن الخطاب هو بناء فكري أو فلسفي متأصل في وسائل التعبير اللغوية سواء كانت كتب أو مقالات بحثية أو مقالات بحثية أو مقالات أو حوارات أو مناقشات ويمكن أن ينشأ الخطاب الفلسفي على المستوى الفردي (الفكر أو الفيلسوف) أو على مستوى مجموعات معينة في المجتمع (على سبيل المثال الأحزاب السياسية أو الجماعات الدينية) أو على مستوى الثقافة التي تمثل المجتمع ككل.[1]

للخطاب الفلسفي وتميزه عن باقي الخطابات الأخرى الأمر قد يساعد في تصحيح مجموعة من الأخطاء يعجز التحقيق بالطريقة التقليدية عن اكتشافها وضبطها في حال وجود مخطوطة واحدة مثلا. ونحن لا نقصد أن يتم اعتماد هذه الطريقة بل إن هدفنا هو الاستعانة بهذه الطريقة متى كان ذلك ممكنا وعلى سبيل الاستئناس.[2]

كما يتميز الخطاب الفلسفي بقدرته على التعميم والتجريد وكيفية صياغة القانون.[3]

كما يتميز الخطاب الفلسفي عن الخطاب الأدبي بالتعميم مراعيا بذلك الجوانب الإنسانية، يتميز بالمصداقية، يعتبر نظام للحوار المباشر والغير المباشر.

[1] – هبة الله محمد، ما هي مميزات الخطاب الفلسفي، المرسال، 08 مارس 2021، 22:54

[2] – إبراهيم ياسين، قضايا أدبية في كتاب المقابسات، أنفاس 22 تموز / يوليو 2008، الزيارات 4253.

[3] – www.rathal.com , 25 مارس 2021 , aya ghafir

ومن مميزاته أيضا الاتساق المنطقي وعدم التناقض والتعارض مع الذات وهو من عوامل ظهور الفلسفة وله علاقة متعددة بمرجعياته المختلفة الأبعاد والتراكيب يعتمد على الفكر والعقل.[1]

[1] – ينظر onadhane، ما هو الخطاب الفلسفي، المرسال، 22 مارس 2021، 17:34.

خلاصة الفصل الأول:

يعتبر كل من الخطاب الأدبي والخطاب الفلسفي أداة لرسم المعرفة فالخطاب الأدبي، خطاب له خصوصيته، يحقق فعاليته وجوهره من خلال ما ينتجه من انفعالات وأحاسيس وعواطف في نفس المتلقي بواسطة استخدام جمالي للغة، وبالطبع فإن هذا الخطاب النوعي لا يعد أفكارا أو معلومات، ولكنها لا تحظى بامتياز خاص أو بأولوية ما مثلما أنها لا تعد مقياس القيمة. أما الظاهرة الفلسفية فهي تنتمي إلى مجال الظواهر الفكرية أو المعرفية، لكنها تختلف عن تلك التي نحصل عليها بواسطة العلم في كونها اجتهادية وغير يقينية. وهي غير يقينية لأنها تناولت موضوعات لا يمكن إخضاعها للملاحظة والتجريب ولذلك تخلى عنها العلم وهذه الموضوعات يمكن تلخيصها في البحث عن العلل الأولى للوجود ولأن الخطاب الفلسفي خطابا فكريا فإن ذلك يجعل مضمونه خاضعا لمعيار الصدق أو الكذب بينما الخطاب الأدبي بوصفه ينتمي إلى عالم الجمال ينطبق عليه معيار الذوق عكس الخطاب الفلسفي الذي يقوم على الأصالة والروح النقدية والدقة والمنهجية والقدرة الدائمة على التصحيح الذاتي وعليه فالخطاب الأدبي فعالية لغوية في المقام الأول فهو فن أداته الكلمة وجوهره اللغة بدءا بالصوت مرورا بالكلمة وانتهاء بالتركيب، وعدولا عنه وبطريقة ذكية للمبدع عبر عن أحاسيسه تعبيرا جماليا، وهو شكل من أشكال الخطاب المتعددة الذي ينفرد على غيره بمقاييس تضبطه وخصائص تميزه. وتكمن غاية الخطاب الفلسفي إلى تعويد العقول على لغة الحوار وسبل الإقناع والعزوف على التعصب.

الفصل الثاني

تجليات الأدبية في

كتاب المقابسات

المبحث الأول: الأدبية

مفاهيم الأدبية:

البحث في الجذور اللغوية للمصطلحات لبنة أساسية في فهم أبعادها وضبط دلالاتها وهذا ما يدفعنا إلى العودة إلى المعاجم اللغوية لفحص مادة هذا المصطلح.

جاء في اللسان: الأدب: الذي يتأدب به الأديب من الناس، سمى أدبا لأنه يأدب الناس إلى المحامد، وسهاهم عن المقابح. والأدب: الظرف وحسن التناول، وأدبه فتأدب: علمه، فالآداب: أدب النفس والدرس.[1]

والأدب: جملة ما ينبغي لدى الصناعة أو الفن أن يتمسك به، كأدب القاضي وأدب الكاتب، والأدب: الجميل من النظم والنثر، وهو كل ما نتجه العقل الإنساني من ضروب المعرفة، والأدبي: المنسوب إلى الأدب، يقال قيمة أدبية أي بمعنى تقدير معنوي غير مادي، ومنه أدبي وكسب أدبي.[2]

أما لفظ (الأدبية) فمصدر صناعي مكون من شقين (الأدب) واللاحقة (يّة) يدل على معنى مجرد، فهو مجموع الصفات يتصف بها الأدب وتشكل جوهره الأدبي، "وسيوظف النقد الأدبي الحديث هذه الآلية التوليدية في غرضين متوازيين إبراز السمة التمييزية من جهة، وتكريس الهوية من جهة ثانية، وهو ما سيجعل هذه اللاحقة الاشتقاقية (ياء النسبة مع تاء التأنيث) زائدة تخصصية حينها وزائدة معرفية حينها أخر."[3] ومن ثم فإن وصف عمل ما بأنه أدبي يقتصر توفره على صفات ملموسة تسوغ للدارس نعته بأدبية أي كونه أدبا حقا.

---

[1] – ابن منظور، لسان العرب، مج1، ج1، تح عبد الله على الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1981، ص43.

[2] – عبد السلام هارون وآخرون: المعجم الوسيط، إشراف شوقي ضيف، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مصر، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2004، ص 09-10.

[3] – عبد السلام المسدي، المصطلح النقدي، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع، تونس، 1994، ص69.

أما مصطلح (الأدبية) فهو لفظ وليد النقد الحديث على ما به يتحول الكلام من خطاب عادي إلى ممارسة فنية إبداعية، ويختص هذا المصطلح أحيانا بصبغة علمية، ولهذا فهو ارهاص لمعرفة إنسانية موضوعها "علم الأدب" ومدار هذا العلم الافتراضي تحديد هوية الخطاب الأدبي في بنيته ووظيفته ما يميز القوانين المجردة التي تشترك فيها كل الآثار الأدبية بهذا تكون نسبية الأدب إلى الأدبية كنسبية اللغة إلى الكلام في نظرية دي سوسير.[1]

لا يزال مفهوم "الأدبية" إلى يومنا هذا غامضا بحيث يستطيع تفسيره كل دارس حسب ما يراه، ولعل ذلك هو الذي عقد من هذه المسألة فجعل كل تيار نقدي يفسر أدبية الأديب انطلاقا من هواه، ولما كانت الأدبية من المصطلحات التي أنشأها رومان جاكبسون منذ سنة 1921، وذلك حين قرر أن موضوع الدراسة الأدبية ليس هو الأدب كله ولكن الأدبية la littérarité, literaturnost، أي ما يجعل منه ابداعا أدبيا ويعلق قريماس على مقولة ياكبسون فيحاول توضيحها "أي ما يسمح بتمييزها هو أدبي مما هو غير أدبي"[2] فلم يضف إليها شيئا، وذلك أن المعضلة لا تكمن في معرفة موضوع الأدب الذي هو التماس الأدبية ولكن في ما هو أدبي في النص أي بمعنى معرفة الخصائص والمكونات الجمالية والفنية والتشكيلية التي تجعل من هذا النص أدبا رفيعا أي عمل إبداعي مشهودا بأدبيته وما هو غير أدبي أي معرفة القواعد أو الأسس التي بمقتضاها يتم تحديد النص الآخر من هذه الأدبية التي تظل في رأينا مفهوما زئبقيا.[3]

ولما كانت مبادئ المدرسة التي يتزعمها رومان جاكبسون ليست إلا شكلية بحكم أنه تنتمي فنيا إلى الشكلانية الروسية، فلا ينبغي أن تفهم هذه الأدبية التي يفترض توافرها في النص الأدبي.

[1] – عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط5، يناير 2006، ص103.

[2] – عبد المالك مرتاض، نظرية النص الأدبي، الطبعة الثانية، 2010، دار الطباعة والنشر الجزائر، ص58.

[3] – المرجع نفسه، ص59.

ولقد كان النقاد العرب، فيما نرى أو مَأوْهَا إلى ما يعادل هذه النظرية (الأدبية) كاستعمالهم لبعض هذا المعنى الياكبسوني: "حسن الديباجة"[1] وقد وصف شعر النابغة الذبياني بأنه "كان أحسنهم وأكثرهم ورونق ماء"[2] ويصف المرزوقي الشعر العربي العبقري بأن في "حوشيه روائق الصفاء لفظا وتركيبا".

والذي يعود إلى مقدمة ابن طباطبا لكتابة "عيار الشعر" ومقدمة المرزوقي لشرح ديوان حماسة أبي تمام قد يقتنع ببعض ما نزعم.

غير أم مفهوم الأدبية يظل غامضا عبر العصور: فما معنى الديباجة لدى العرب؟ أهي مجرد انتقاء الألفاظ الرقيقة في نسج الشعر، أم هي شيء أعمق لعل ذلك يفسره قول نادهم: "يموج في حواشيه (الشعر) ورونق الصفاء لفظا وتركيبا"[3] فهذا الرونق الذي ردده ابن سلام والمرزوقي: ألا يكون القصد منه هذه "الأدبية" الياكبسونية الغامضة ومع اقرارنا بأن أدبية ياكبسون ليست هي أدبية ابن سلام وابن طباطبا أو المرزوقي إلا أنه كان لهؤلاء حتما أدبيتهم وإذن فالفكرة قد طرقت في النقد العربي وموروست بيد أن أدبية العرب (الرونق – الديباجة) ظلت غامضة بمقدار ما ظلت أدبية ياكبسون غامضة حذو النعل بالنعل.[4]

تجليات الأدبية في كتاب المقابسات:

يقول جل الباحثين وأغلب الدارسين من المهتمين بفكر التوحيدي على الطابع الأدبي الذي صيغت به هذه المقابسات، وأن تناولها هذه النقطة قد اتخذ مناحي شتى، إذ أننا نجد منهم من يتخذها مسلكا إما لاتهام التوحيدي بتدخله في صياغة هذه المقابسات، وربما اصطناعها ونسبتها إلى فلاسفة عصره، وإما لاعتبار الكاتب خاليا من أية فائدة على غرار المستشرق ماكس مايرهوف الذي يرى أن تدخل أبي حيان في نصوص الكاتب بالتعديل

[1] – ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ط1، تحقيق محمد شاكر، 1994، ص56.

[2] – أبو الحسن ابن طباطبا، عيار الشعر، تح، عبد العزيز بن ناصر، نشر الخانجي، القاهرة، ص24.

[3] – عبد المالك مرتاض، نظرية النص الأدبي، ص58.

[4] – المرجع نفسه، ص60.

والتنقيح جعل هذه المقابسات فاقدة لأية قيمة في حين اعتبر آخرون هذا التصرف عملا مساهما في تقريب الفلسفة من عامة الناس.[1]

نقد الشعر:

إن تعامل متفلسفة المقابسات مع الشعر يتجاوز أحيانا مستوى الاستشهاد إلى ممارسة عملية النقد، ويمكن ذكر المثال الوارد في الصفحة267، حيث يقول التوحيدي بأن استاذه استحسن للبديهي أبياتا[2] هي قوله:

لا تحمدن على تظاهر نعمة * شخصا تبيت له المنون بمرصد**

أو ليس بعد بلوغه أماله * يخطي إلى عدم لم يوجد[3]**

علق عليها أبي سليمان بقوله: ما أفلح البديهي قط إلا في هذه الأبيات فما كان من تلميذه أبي حيان إلا أن أردف قائلا: "وصدق كان غسيل الشعر، سريع القول، قليل الحلاوة"[4] ومن باب الاستحسان اقترح السجستاني على تلميذه أن ينشد له شعرا لبعض الإلهين ليعلق عليه بقوله: "ما أحسن الأدب والحكمة إذ كان هذا من ثمارها"[5] مما يوضح لدينا أيضا هذا المنحنى ويؤكد هو العدد الذي أورده التوحيدي من الأبيات الشعرية في كتابه، والذي بلغ ثلاثة وثلاثين بيتا، فضلا عن اختيارها خضع للمقياس الأخلاقي حيث إن الغالب عليها، سواء للمستشهد به أو ما تم استحسانه وما أبدعه السجستاني يغلب عليه طابع الحكمة وتحيط به مسحة من التصوف.[6]

---

[1] – نرجس عبد القادر بازهير، نحو التوحيدي في كتابه المقابسات، ص815.

[2] – المرجع نفسه، ص258.

[3] – أبي حيان التوحيدي، المقابسات، تح: محمد توفيق حسين، دار الأدب، بيروت، ط1، بغداد، ط2، 1189، ص267.

[4] – المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[5] – المصدر نفسه، ص268.

[6] – نرجس عبد القادر بازهير، نحو التوحيدي في كتابه المقابسات، ص816.

الصياغة الأدبية:

قبل الحديث عن الصياغة الكتاب لابد من الإشارة إلى أن هذه الصياغة ولدت نقاشا حادا وخلافات متشبعة. فقد جعلت الكثير من الدارسين يشككون في جدوى هذه المقابسات ويقللون من قيمتها ومن مكانة الكتاب في تاريخ الفلسفة، في حين أننا نجد باحثين آخرين يحاولون الدفاع عنه أو يحاولون أن يلتمسوا له العذر.[1]

يقول جي دي بور عن فلسفة يحي بن عدي وأبي سليمان "كذلك نجد نزعة الفارابي المنطقية تستحيل عند تلاميذه إلى فلسفة لفظية ونرى الجدل يدور حول تحديد المعاني، والتدقيق في التمييز بينها... وكانت جماعة السجستاني تتلاعب بالألفاظ والمعاني بينما كان إخوان الصفا يتلاعبون بالأعداد والحروف، وكانت الصوفية منتهى لكلا الفريقين"[2] ويلتقط ماكس مايرهوف هذا الحكم ليقول "وكما لاحظنا من قبل لست هذه المحاورات التي كتب المؤلف بعضها من عنده قيمة كبير، فهي موضوعة في قالب أدبي والملح تسودها إلى جانب التلاعب بالألفاظ، ولكن المهم هو الوسط الذي يدخلنا أبو حيان فيه"[3]

فهذه الأحكام دفعت باحثين آخرين للدفاع عن هذا الكتاب، فالسندوبي وهو من أوائل من اهتموا بهذا الكتاب وبنضره في المجال العربي، يعلل الارتباط بين الفلسفة والبلاغة في المقابسات وغيرهم من المدافعين كإحسان عباس، ومحقق الكتاب محمد توفيق حسين حيث يبرر هذه الصياغة الأدبية بطبيعة الفلسفة الأفلاطونية وهي مواضيع ميتافيزيقية صوفية ويرى أنها تقوم على اللغة الشعرية، والألفاظ العاطفية المحاطة بضلال الغموض ليؤكد أن الفلسفة الأفلاطونية المحدثة غالبة على فلاسفة المقابسات.[4]

---

[1] – نرجس عبد القادر بازهير، نحو التوحيدي في كتابه المقابسات، ص817.

[2] – المرجع نفسه، ص817.

[3] – المرجع نفسه، ص817.

[4] – ينظر: إبراهيم ياسين، قضايا أدبية في كتاب المقابسات، 05 يوليو 2008، www.diwanalarab.com .

كل ما سبق نجد أن أسلوب التوحيدي في المقابسات لا يختلف عن أسلوبه في مؤلفاته الأخرى حيث نلاحظ:

- كثرة الألفاظ وغلبة الأسلوب الاطناب على الايجاز[1]، كما في المقابسة 85 "الفرق بين الكل والكلي، إن الكل متأخر عن أجزائه، والكلي متقدم على أجزائه...، فأما الكلي فإن رفع جزئياته تبقى طبيعة الكلي محفوظة بمنزلة الحيوان، فإن رفع الانسان وأي واحد من الحيوانات لم تبطل طبيعة الحيوان."[2]
- المترادفات بحث إن الفكرة الواحدة يعبر عنها بأكثر من عبارة واحدة[3]، ومثال ذلك المقابسة 74 "وأملي علي أيضا الفرق بين الوحدة والنقطة، إن الوحدة هي النقطة مالا وضع لها فالوحدة هي مبدأ الوحدات...الخ"[4]
- غلبة الطباق والمقابلة[5] ورد ذلك في المقابسة 58 "نحن نساق بالطبيعة إلى الموت، ونساق بالعقل إلى الحياة...نحن نقضي ما علينا ونجتهد بما لدينا، ويجري الدهر بما شئنا أو أبينا."[6]
- التوازن الصوتي باستعمال المحسنات اللفظية[7]،ومثال ذلك في المقابسة 67 "البياض يفرق البصر لأنه من جنس النار والسواد يجمع البصر لأنه من جنس الماء... فلا مشفق عليك سواك ولا ناظر في أمرك غيرك وعلي الدعاء والتلطف وعليك الاجتهاد والسعي فما بعد نصح الداعي وقبول السامع إلا نيل الأماني وبلغ الأمال."[8]

---

[1] – نرجس عبد القادر بازهير، نحو التوحيدي في كتابه المقابسات، ص817.

[2] – أبو حيان التوحيدي، المقابسات، ص259.

[3] – نرجس عبد القادر بازهير، نحو التوحيدي في كتابه المقابسات، 818.

[4] – المرجع السابق، ص245.

[5] – المرجع السابق، نرجس عبد القادر بازهير، ص818.

[6] – المرجع السابق، أبو حيان التوحيدي، ص194.

[7] – المرجع السابق، نرجس عبد القادر بازهير ، ص818.

[8] – المرجع السابق، أبو حيان التوحيدي، ص230.

ومسألة الأدبية في نهاية الأمر كما يرتبها أبو حيان التوحيدي ليس محصورة في جمالية اللفظ دون المعنى أو العكس وإنما تتعدى ذلك إلى مسألة التأليف والتركيب الذي يجمع تلك العوامل دفعة واحدة لا يقدم فيها ولا يؤخر شيئا عن شيء، فالتفاعل الحاصل لاحق بشخصية النص الإبداعي هو الذي يرسم له قيمته الجمالية والأدبية.[1]

[1] – عميش عبد القادر، أدبية النص في كتابات أبي حيان التوحيدي، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه دولة، 2000-2001، جامعة وهران، ص137.

المبحث الثاني: أدبية الحجاج في المقابسات:

تعددت الأساليب والوسائل الحجاجية التي استخدمها أبو حيان التوحيدي في كتابه المقابسات وكان لها دور في إقناع المتلقي، فالتوحيدي كان حريصا في اختياراته دقيقا في انتقائها، ومن الآليات والوسائل التي استخدمها في مدونته النثرية نجد:[1]

مراعاة المقام ومقتضيات الحال:

كانت فكرة مراعاة المقام ومقتضيات الحال من الوسائل التي ركز عليها التوحيدي في بناء مقابساته، اهتم التوحيدي بهذا الجانب فواضع، بسبب أن طبيعة المقابسات تقتضي ذلك، فمراعاة حال المتلقي أمرهم، ولهذا اهتم به التوحيدي، وجعله مقاسا من المقاييس التي بنى عليها مقابساته فما يفرق بين النثر والشعر هو المقام الخطابي، أي أن المتلقي للنص النثري يطالب بالفهم السريع للنص أو المباشر بعد تلقيه، وبما أن نصوص المقابسات نصوص نثرية، فهي متجهة عادة إلى العامة من الناس، ولهذا احتاج التوحيدي إلى مراعاة أحوالهم ومعرفة مستواهم العقلي ومحاولة إقناعهم بواسطة لغة سهلة بسيطة لأنه كان يريد إيصال الفلسفة إلى عقولهم وأذهانهم فهو في موضعه هذا كان ملزما بمراعاة المقام ومقتضيات الحال لأنه أمر لا يستغني عنه المتكلم متى أراد إقناع السامع أو المتلقي أو حمله على الأذعان لموقف من المواقف أو اتخاذ سلوك معين، بل هو من الأمور الأساسية، إذ أن الفعل في المتلقي لا يأتي إلا بالاستحواذ على انتباهه وشده إلى الخطأ، ولا يكون ذلك إلا بمراعاة أحواله ومقامه.[2]

---

[1] – ينظر: شيخ أمال، البنية الحجاجية في كتاب المقابسات لأبي حيان التوحيدي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، تخصص أدب عربي، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة المسيلة، 2010/2009، ص 93.

[2] – المرجع نفسه، ص94.

لقد بنى التوحيدي مقابساته على السؤال والجواب أي أسلوب الاستفهام وأسلوب الخبر حول المحاورات والمناظرات التي دارت بينه وبين فلاسفة عصره، والتي جاءت على هذه الطريقة يمكن تمثيلها ما يلي:

- "قلت لأبي سليمان..."كما (في المقابسات 22ص 108-23 ص112.).
- "قولنا لأبي سليمان..."كما في المقابسة 62 ص200.
- "سألي أبي سليمان... فسألت أبا سعيد..."كما (في المقابسة 24 ص114.)
- "سألت أبا سليمان...وسألته..."كما (في المقابسة 70 ص236).

فهذه الطريقة في طرح المقابسات بهذا الشكل تطرح عدة ملاحظات منها:

أن التوحيدي يكسب مقابساته نوع من المرجعية الاقناعية، فاعتبار أن الحديث دار على شكل حوار وسؤال وجواب فيه نوع من الإقناع والإثبات لقضايا دارت بين المتحاورين، يكسبها طاقة حجاجية، فصيغ مثل "سألت، وقلت، وسألته، وقلنا..." تكسب الخطاب طاقة اقناعية من خلال طرح السؤال والبحث عن الجواب فالمتلقي هنا يضطر الى الاقناع بفحوى المقابسة أو الخطاب، والتوحيدي حينما يبدأ حديثه يطرح سؤال ينشغل معه المتلقي بالبحث عن الاجابة وينصرف عن البحث عن صدق تلك الأحاديث أو البحث عن مصادرها، ويصبح همه الوحيد هو إيجاد الجواب لتلك المسألة وحين يجده يقنع به ويذعن له دون اعتراض أو رد، وهذه الطريقة تجعل المتلقي يذعن ويقتنع بفحوى الخطاب دون اللجوء للبحث عن الحجج والبراهين في ذلك الخطاب.[1]

أما إذا كان في مقام تأكيد قضايا ثابتة وقارة احتاج إلى أساليب التأثير والحجج والبراهين المنطقية ليؤكد فحوى تلك المقابسات فيستغل كل أساليب الاقناع من وأساليب لغوية وأساليب بلاغية وحجج منطقية ليثبت آراءه ومواقفه ويقنع المتلقي بها، وخير مثال على ذلك تلك

[1] – شيخ أمال، البنية الحجاجية في كتاب المقابسات لأبي حيان التوحيدي، ص96.

الأمالي التي نقلها عن أستاذه ومفكرين كان لهم باغ كبير في مجالاتهم المعرفية، فهي أمالي واضحة الهوية نقلها عن أستاذه "أبو سليمان السجستاني" وهي كما يلي:[1]

أ. جاء في خمس مقابسات قول التوحيدي "أملي على أبو سليمان..." وقد جاءت في (المقابسات 73ص243- 74ص245 -78ص250- 84ص256- 86ص259.) وهذه الصيغة تكسب المقابسات نوع من الطاقة الحجاجية من خلال المرجعية، فهي تعود إلى شخص معين، وبهذا يستطيع المتلقي أن يقتنع بها، فصاحبها له باع طويل في الفلسفة والمنطق، فلا يستطيع المتلقي التشكيك في أقواله أو في أماليه، وبهذا يكون التوحيدي أصاب أمرين معا، أوهما نقل الكلام للسجستاني، وثانيها أقنع المتلقي بفحوى كلامه من خلال السلطة الحجاجية التي يكتسبها صاحب القول.[2]

ب. نقل أيضا التوحيدي قول أبو سليمان في المقابسة 79"قال أبو سليمان أيضا إملاء..." فهذه المقابسة لا تخرج عن كونها تؤكد إلى حد ما أن أبا سليمان كان يملي ما يقوله مباشرة دون الرجوع إلى مدون، فهذا يدل على أن الرجل متأكد من الكلام الذي يمليه.[3]

ج. يذكر التوحيدي في مقابسة أخرى أنه "أملى أبو سليمان على جماعة كنت أحدهم..." وهي المقابسة 82، وفي هذه الحالة يزيد من تأكيد أن الأمالي التي كان أبو حيان يمليها ليست من تفرد بها لوحده بل أنها كانت عامة في مجالس يعمها العلم والمعرفة، وبهذا تزيد من درجة حجاجيتها وترفع درجة الاقناع بها والإذعان.[4]

[1] – شيخ أمال، البنية الحجاجية في كتاب المقابسات لأبي حيان التوحيدي، ص96.

[2] – المرجع نفسه، ص94.

[3] – المرجع نفسه، ص94.

[4] – المرجع نفسه، ص95.

ومن الطرق التي استخدمها التوحيدي طريقة نقل المقابسات بواسطة السماع.[1]

يبدو أبو حيان التوحيدي أنه كان يستذكر الأحاديث التي كان يسمعها في المجالس التي كانت تجمعه بالذين تقايسوا، أو في لقاءاته ببعضهم في ظروف مختلفة ويمكننا، على الدقة، أن نصف طرقه في السماع بحسب المروي عنه كالنحو التالي:

أ. أبو سليمان السجستاني:

يروي لنا التوحيدي جملة ضخمة من النصوص عن السجستاني، سماعا، فكأنه كان حاضرا حديثه المسموع الذي حفزه، فينقله إلينا بصورة مختلفة، يمكن حصرها فيما يلي:

- (سئل أبو سليمان...) في المقابسات 27-50-55.
- (سمعت أبا سليمان...) في المقابسات 1-21-25-58-64-70-81-86-105.
- (قيل لأبي سليمان...) في المقابسات 28-39-51-56-63-76.
- (قال أبو سليمان...) في المقابسات 60-61-67-68-80-83-92-93.[2]

ب.أبو زكريا الصميري:

وينقل التوحيدي عن الصميري سماعا كما نجده يروي: (قيل لأبي زكريا الصميري...) في المقابسة 53، و(قيل لأبي زكريا الصميري، بباب الطاق بالوارقين وأبو سليمان حاضر...) في المقابسة 30، (وقال أيو زكريا الصيمري لجماعة عنده...) في المقابسة 40، و(قال أبو زكريا الصميري لأبي سليمان...) في المقابسة 72، وأخيرا (قال أبو زكريا الصميري عند أبي سليمان في مذاكرة طويلة...) كما في المقابسة 94.[3]

[1] – شيخ أمال، البنية الحجاجية في كتاب المقابسات لأبي حيان التوحيدي ، ص97.

[2] – عبد الأمير الأعسم، أبو حيان التوحيدي في كتاب المقابسات، ص227.

[3] – المرجع نفسه ، ص227.

ج. عيسى بن علي بن عيسى:

ويروي التوحيدي سماعا عنه في ثلاثة مواضع بصورتين مختلفتين الأولى قوله (سمعت عيسى بن علي بن عيسى يقول...) في المقابستين 54،59، والثانية قوله (قال أبو قاسم عيسى بن علي بن عيسى...) كما في المقابسة 101.[1]

د. أبو اسحاق الصابي:

ينقل عنه التوحيدي في موضعين، سماعا بقوله (سمعت أبا اسحاق الصابي يقول...) في المقابسة26، وبقوله (سمعت أبا اسحاق الصابي الكاتب يقول لأبي الخطاب الصابي...) كما في المقابسة 11.[2]

ر. النوشجاني:

ويروي عنه التوحيدي، سماعا، في أربعة مواضع وعلى صورتين مختلفتين: الأولى قوله (سمعت النوشجاني...) في المقابسات29-36-106، والثانية قوله (قال النوشجاني يوما...) كما في المقابسة 46.[3]

إن هذه الطريقة الغالبة على المقابسات، لأن التوحيدي جمع مقابساته ومحاوراته عن طريق السماع عن مشايخه، ونقلها بعد ذلك وصاغها صياغة أدبية، فهذه الطريقة تجرد الخطاب من الشك فيه، لأن المنقول عنهم كلهم، فلو أن التوحيدي نقل الأحاديث أو المحاورات دون ذكر من سمع أو دون عنهم لكان كلامه أو خطابه عرضة لتشكيك فيه، ولكنه حرص على اسناد كل الأحاديث إلى أصحابها، لتحقيق المنفعة المشتركة منفعة المعرفة ومتعة التلقي.[4]

[1] – عبد الأمير الأعسم، أبو حيان التوحيدي في كتاب المقابسات ، ص227.

[2] – المرجع نفسه، ص228.

[3] – المرجع نفسه، ص229.

[4] – شيخ أمال، البنية الحجاجية في كتاب المقابسات لأبي حيان التوحيدي، ص98.

المبحث الثالث: بلاغة تركيب الألفاظ والمعاني:

كان التوحيدي يختار ألفاظه بدقة ويضعها في مكانها المناسب، فلا يستطيع المتلقي أن يغير مكان تلك الألفاظ، ولهذا كان أسلوبه يقترب من الأسلوب السهل الممتنع، فهو كان ه نمط تعبيري خاص مختلف عن غيره من الكتاب والأدباء فقد كان دقيقا في اختياره للفظ المناسب للتعبير عن أغراضه والذي يصل به إلى أهدافه من طرح تلك المحاورات أو المقابسات فبناها بلغة خاصة تخدم الغرض الأساسي من بناء تلك المقابسات الذي كان تحقيق الإقناع والإمتناع معا، إن التوحيدي يتسلسل من أول المقابسة إلى آخرها بلغة سهلة بسيطة يستطيع المتلقي أن يفهمها وفي الآن ذاته يرى فيها رونق الجمال والبيان فاختياره مثلا لكلمات مثل "سألت، قلت، قال، أملي، سمعت، سئل، حضرت بمجلس تتقابس..."، هذه الكلمات كلمات بسيطة، إلا أن التوحيدي وضعها في موضع التدليل والاستدلال والحجاج.[1]

كان التوحيدي عارفا بهدى فاعلية التراكيب في النصوص فكان يعمد إلى تركيب محدد دون سائر التراكيب لأنه يلتمس فيه قدرة على استمالة المتلقي وإقناعه، ومن الأمثلة التي تدل على حسن اختياره للتراكيب، والتي كان لها دور في إقناع المتلقي على كثرتها نجد "الإنسان إنما هو إنسان بالنفس" (المقابسة 18 ص99)، فهذه الجملة أو التركيب تؤكد فكرة أن الإنسان محصور بالنفس مختص بها لا خارج عنها، وكأن الجملة تجيب على السؤال (ما الإنسان؟) وبهذا يكون الانسان محور الجملة ومدار الحديث في المقابسة.[2]

وفي شأن اللفظ والمعنى ذهب التوحيدي في كل ذلك إلى الجمع بين اللفظ والمعنى دونهما تفضيل الطرق على آخر بينهما ينتج طرفا ثالثا مغيب ندعوه بلاغة الكتابة أو أدبية

[1] – شيخ أمال، البنية الحجاجية في كتاب المقابسات لأبي حيان التوحيدي ، ص99.

[2] – المرجع نفسه، ص 101.

التأليف وهو الموقف الذي يكسر ازدواجية الرؤية النقدية السائدة تراثيا: و(لا تعشق اللفظ دون المعنى ولا تهوى المعنى دون اللفظ).[1]

وبجانب الاختيارات اللفظية والمعجمية، والصيغ المتنوعة التي استخدمها التوحيدي في كتابه نجده أيضا يلجأ إلى التراكيب الجيدة والملائمة للمعاني مثل "سمعت- يقول- قلت – يدل – بقوله- سواه – قيل له"، فيجعلها بذلك حجة تساعده على إقناع المتلقي بها، إذ أن الألفاظ لا تكون مفيدة إلا إذا كانت داخل تأليف، ويقصد به وجه من التركيب والترتيب. فالتركيب والترتيب له دوره في التأليف "سمعت أبا سليمان – يقول التوحيدي – قلت لابي بكر"، وقد استعان التوحيدي بمجموعة من الأنماط التركيبية فاستخدام الجملة الاسمية القصيرة "تسلسل إيماؤه – العلم الصحيح – المعرفة واليقين- السعادة الكبرى"، وهي النمط الغالب على معظم المقابسات، اعتمد على الجمل الفعلية بظواهرها (الاثبات والنفي والتوكيد) "إنارة الفكرة – كذب روائد الخمس – أخذ النفس من العقل – لا تنم بين الإيقاظ – لا تغفل عن الرقباء- لا تؤجل مالك اليوم إلى الغد"، وكذا أنماط تركيبية أعقد من الصورتين السابقتين، وبهذا التنوع الثري شعرا ونثرا أصبحت نصوص المقابسات ذات تراكيب وتأليف غنية.[2]

ويتراءى لنا مما سبق أن الكتابة لدى التوحيدي هي اللفظ المضمون والكلام الشريف والنثر والنظم والمثل السائر والبلاغة ذلك من العناصر المشكلة لأدبية أو يمكن تسميته بمقروئيه النص لأن القصد من الأدب في نهاية الأمر هو "الإفصاح عن عوامل الحياة كلها كما تبين من أفكار وعواطف وأن اللغة ليست سوى وسيلة من وسائل كثيرة اهتدت إليها البشرية للافصاح عن أفكارها وعواطفها"[3]، لأن الفائدة الأدبية للكتاب تكمن في شدة التمازج بين طرفي اللفظ والمعنى بحيث يصعب عزل طرف على الآخر والنظر فيه محايدا عنه وهو هذا معنى التأليف:

[1] – أبو حيان التوحيدي، الامتاع والمؤانسة، تح: أحمد أمين، منشورات دار المكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ج1، ص10.

[2] – شيخ أمال، البنية الحجاجية في كتاب المقابسات لأبي حيان التوحيدي، ص100.

[3] – ميخائيل نعيمة، الغربال، مؤسسة نوفل، بيروت، لينان، ط12، 1983، ص105.

"فالمعاني ليست في وجهة والألفاظ في وجهة بل هي متمازحة متناسبة، والصحة عليها وقف فمن ظن إن المعاني تتلخص مع سوء اللفظ وقبح التأليف والإخلال بإعراب فقد يدل على نقصه وعجزه".[1]

فالتوحيدي هاهنا ينظر إلى اللفظ والمعنى بطبيعة وظيفته دون أن يعزلها بصفتهما جزئين أو ركنين أساسين يساهمان في بلورة مقروئية أدبية مضيفا إليها عناصر جديدة تمثلت في التأليف الذي هو النظم الذي يجسد الأدبية في جل مواضيع المقابسات أو يضعفها حسب قدرة التأليف.[2]

ويتمثل تمازج كل من اللفظ والمعنى في كونهما ينبثقان دفعة واحدة عن انفعالات نفسية عاطفية، ففي اللغة معنى وفي المعنى لغة. وحمل الدلالة متدرج في عناصر تتكامل كلما أقصى بعضها إلى بعض.[3]

ومن شأن التوظيف الجيد لهذه الأدوات وعلى الأخص الخصائص اللغوية من شأنه أن يساعد القارئ على فك شفرات القول. لأن النص يقدم مغلقا كاظما لدلالته ومعانيه المعنى لا يستخرج من النص أو تشكله للمفاتيح النصية بل الأحرى أنه يتحقق من خلال التفاعل بين القارئ والنص[4]، فالنص عموما لا يقدم المعاني جاهزة بل يوحي بها، و كل قراءة متجاوزة لحدود النص هي إشراف على المعنى وذلك بفضل وعي القارئ، ولقد سبق أن تنبه أبو حيان التوحيدي إلى تفاوت القراءة من حيث درجات الفهم والتخريج فقد رأى أن الكلام مستويات ورتب من حيث الجودة فلكل فئة من الناس تعبير وأسلوب يناسبان مدركاتها والافهام افهامان رديء وجيد فأول لسلفة الناس لأن ذلك غليتهم وشبه برتبهم في نقصهم والثاني لسائر الناس لأن ذلك جامع للمصالح والمنافع فأما البلاغة فإنها زائدة على الافهام الجيد بالوزن والبناء

[1] – أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، مج03، تح: إبراهيم الكيلاني، مطبعة الانشاء، 1964، ص50.

[2] – عميش عبد القادر، أدبية النص في كتابات أبي حيان التوحيدي، ص125.

[3] – أبو حيان التوحيدي، المقابسات، ص170.

[4] – بير جيرو، منذر عياشي، الأسلوبية، مركز الانماء الحضاري، سوريا حلب، ط2، 1994، ص139.

والتقنية والحيلة الرائعة، وتخير اللفظ واختصار الزينة بالدقة والجزالة والمتانة، وهذا الفن لخاصة الناس لأن القصد فيه الإطراب بعد الإفهام والتواصل إلى غاية ما في القلوب لذوي الفضل تقويم البيان.[1]

ويعمد أبو حيان التوحيدي في تشريح عملية الكتابة إلى ذكر ثلاثة أغراض يتوخاها كل مبدع بقوله: "...وينبغي أن يكون الغرض الأول في صحة المعنى، والعرض الثاني في تخير اللفظ، والعرض الثالث في تسهيل النظم وحلاوة التأليف."[2]

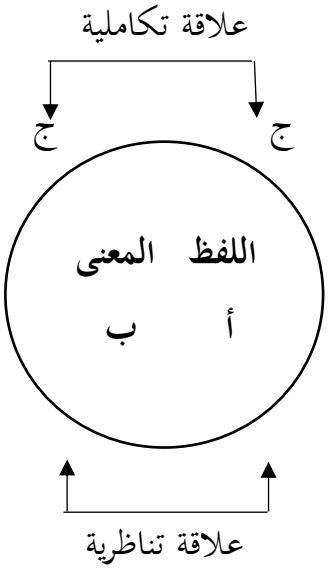

يعتبر هذا الرسم البياني تجسيدا لمقولة التوحيدي "صحة المعنى وتخير اللفظ وتسهيل النظم وحلاوة التأليف".[3]

[1] – أبو حيان التوحيدي، المقابسات، ص170.

[2] – توفيق الزبيدي، مفهوم الأدبية في التراث النقدي إلى نهاية القرن الرابع، منشورات عيون الدار البيضاء، ط2، 1987، ص155.

[3] – أدبية النص في كتابات أبي حيان التوحيدي، ص 131-132.

وإذا كان التوحيدي أعطى اهتماما بالغا بالمعنى عن ترتيب اللفظ والمعنى فمرد ذلك أن المعنى ثابت متواجد على الزمان تابع للعقل لا يصيبه حول واللفظ مادة طينية وكل طيني متهافت زائد.[1]

إذا كانت اللغة مادة الأدب فإن البلاغة روحه ولا يكتمل جمال لفظ وسحر تعبيره دون أساليب البلاغة موحية تزيده تأثيرا ومن فنون البلاغة الواردة في كتاب المقابسات الصور التشبيهية، وردت صور تشبيهية في قول التوحيدي: "الانسان الذي لا يعمل بعلمه كالشجرة المورقة لا ثمر لها وقال آخر: البخيل الغني كالجبان القوي."، فالمشبه هو الانسان والمشبه به هي الشجرة ووجه الشبه هو الخلو من الفائدة. ويذكر التوحيدي الصفات المشتركة والمتشابهة بين الإنسان والحيوان في قوله "ألا ترى أن الانسان يوجد له زهر كزهر الفرس، وتيه كتيه الطاووس وحكاية كحكاية القرد ولقن كلقن الببغاء، ومكر كمكر الثعلب وسرقة كسرقة العقعق وعيافة كعيافة الغراب وجرأة كجرأة الأسد وجبن كجبن الصفرد وإلف كألف الكلب.[2]

ففي هذه الصورة التشبيهية يتجلى اشتراك الانسان والحيوان في صفات عديدة كالزهر والمكر والسرقة والجرأة، ومن الصور الاستعارية والكنائية الواردة في قول التوحيدي: "نقلت هذا الكتاب والدنيا في عيني مسودة وأبواب الخير دوني منسدة بثقل المؤنة وقلة المعونة، وفقد المؤنس بعد المؤنس وعثار القديم بعد القدم وانتشار الحال بعد الحال هذا مع ضعف الركن واشتغال الشيب وخمود النار وأفول شمس الحياة وسقوط نجم العمر وقلة حصول الزاد وقرب الرحيل"[3] إن سواد الدنيا كناية عن الحزن والتشاؤم وقد عرف التوحيدي بنظرته السوداوية للحياة "أن التوحيدي كان معتل الطبع ذا مزاج سوداوي ويغلب على صاحب هذا المزاج الحزن والانقباض اللذان يفيضان به حتما إلى التشاؤم والنظر للعالم من جوانبه الكئيبة المظلمة، "وتكمن الاستعارة

[1] – مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، المجلد9، العدد2، ملامح المقالة الموضوعية في كتاب المقابسات لأبي حيان التوحيدي د. باسم ناظم سليمان، كلية التربية، جامعة كركوك.

[2] – أبو حيان التوحيدي، المقابسات، ص 237.

[3] – المصدر نفسه، ص238.

في اشتغال الشيب وسقوط نجم العمر إذا استعار كلمتي الاستخال والنجم ليصف مضي العمر وكبر السن والضعف وفي هذه حالة"[1] ينقلب المعقول محسوسا تكاد تلمسه اليد وتبصره العين ويشمه الأنف وتتكلم الجمادات وتتنفس الأحجار وتسري فيها آلاء الحياة فترى الطبيعة الصامتة الجامدة تغني وترقص وتلهو وتلعب كأنها من ذات الروح والمشاعر والأحاسيس."[2]

وزين التوحيدي أسلوبه بالفنون البديعية كالسجع لكن سجعه ليس كثيرا وليس مطردا فهو لا يطغى على ترسله، بل لا يقاربه أو يساويه حتى يسلكه في عداد السجاعين إلا في كتابات الإشارات الإلهية، وقد كان يسجع في جل مقابساته في تعبيره عن عاطفته وفي مواضيع لا عاطفة فيها لأنه وجد من الجمل الازدواجية والجمل المسجوعة نغما يطرب له وصياغة تكفل لتعبيره القوة والقبول والذيوع، وسجعه كله قصير متناسب القصر مسوق في مهارة ولباقة لا تشعر القارئ بأنه تعمده أو اصطنعه ولا شيء فيه لافيه من إهمال المعنى أو الطغيان عليه وإذا ما سجع عاد إلى الترسل وانطلق أو عاد إلى الترسل وانطلق أو عاد إلى السجع ثم انطلق.[3]

وورد السجع في النص الآتي: "من غمس نفسه في غمار الطبيعة هلك وطاح، ومن اجتلى نفسه بزينة العقل طرب وارتاح، ومن صمد للغاية بجده وجهده نشر وباح، ومن تهاون بتحصيل ماله وعليه خسر وناح"[4] يظهر السجع في الكلمات الآتية: طاح، ارتاح، باح، ناح، وفي قول التوحيدي: "فالنفوس تتقادح والعقول تتلاقح والألسنة تتفاتح"[5] يبدو السجع في تتقادح، تتلاقح، تتفاتح ويكثر التضاد في كتاب المقابسات كما في النص الآتي: "والملك يأمر وينهي ويصدر ويورد ويحل ويعقد وينظم ويبدد ويعد ويوعد ويبرق ويرعد ويقدم ويؤخر ويخلع ويهب وقد علم صغيرا أوليائه وكبيرهم ووضيع رعاياه وشريفهم وبنية الناس وخاملهم أن الرأي

[1] – أبو حيان التوحيدي، إبراهيم الكيلاني، ص27.

[2] – بكري الشيخ أمين، البلاغة في ثوبها الجديد، دار العلم للملايين بيروت، ط6، 1999، ص38.

[3] – باسم ناظم سليمان، ملامح المقالة الموضوعية، ص 308.

[4] – أبو حيان التوحيدي، المقابسات، ص253.

[5] – المصدر نفسه، ص 123.

الذي يطلق بأمره كذا كذا صدر من الملك إلى كاتبها" حيث ينجلي التضاد بين الكلمات الآتية:

يأمر...ينهي، يصدر...يورد، يحل...يعقد، ينظم...يبدد، يقدم... يأخر، يخلع... يهب، صغير... كبير، وضيع... شريف، بنية... خامل.

كما ورد التضاد في النص الآتي: "لما كان عالم النجوم وصاحب الشغف بأحكام يريد أن يقف على أحداث الزمان في مستقبل الوقت من خير وخصب وجذب وسعادة ونحس وولاية وعزل مقام وسفر وغم وفرح وفقر ويسار ومحبة وبعض وجدة وعدم وعافية وسقم وألفة وشتان وكساد ونفاق وإصابة إخفاق وراحة ومشقة وقسوة وتيسير وتعسير وتمام وانقطاع والتئام وانصداع وافتراق واجتماع واتصال وإثبات وحياة وممات وهو إنسان ناقص في الأصل زائد في الفرع."[1]

تنبثق في هذا النص ثنائيات متضادة عديدة فيا ترى ما دلالة هذا الأسلوب؟ وهذا الجمع بين الأضداد؟ يقول دارس أن التوحيدي حين يكثر في أسلوبه من ألفاظ الازدواج والمقابلة إنما يكشف عن شخصية تحيا على التناقض والمفارقة paradoxe وتحاول دائما أن تجمع بين الأقطاب المتعارضة، بينما يرى دارس آخر أن التوحيدي يميل إلى التضاد ليزيد الفكرة قوة ووضوحا لا يتلاعب باللفظ.[2]

كان حظ أبي حيان التوحيدي من مفردات اللغة حظا موافرا وقاموسه محيطا واسعا، ما خطر له من معنى إلا كان له من المخزون اللغوي، أداة مسعفة وذخيرة مبلغة، وبهذا القاموس اللغوي الواسع، استطاع أن يخضع مسائل العلم وما كان من تدفق أسلوبه السهل وشهدت

[1] – أبو حيان التوحيدي، المقابسات، ، ص129.

[2] – باسم ناظم سليمان، ملامح المقالة الموضوعية في كتاب المقابسات لأبي حيان التوحيدي، ص209.

مؤلفاته آثار الروح اللغوية وما كان من تدفق أسلوبه وامتداد نفسه وتباعد ما بين أفاق أبحاثه إلا مظهر من مظاهر ذلك الثراء اللغوي.[1]

ففي مقابسته الأولى يقول: "سمعت أبا سليمان المنطقي يقول: باعتبار تظهر الأسرار، وبتقديم الاختبار يصح الاختيار، ومن ساء نظره لنفسه قل نصحه لغيره وكما تنظف الآنية من وسخ ما جاورها ولا بسها، ووضر ما خالطها ودنسها، لتشرب فيها، أو لتنظر إليها وستصحبها، وتحفظها ولتكون غنيا بها.... وإباؤك لا يفارقك من أجلها.[2]

فأسلوبه قائم على السجية ذات المنطق الاختلافي بمنعطف مغاير لما هو موجود فقد جمع القديم البدوي والجديد الحضري بما قدمه من سجع وازدواج وقوة بيانية لاستنكاره المعنى من خلال الغوص في عمق النص وبالمقابل تجده يظهر أفكاره بألفاظ خالية من الألاعيب اللغوية والاسفاق الذي درج عليه كتاب عصر. فقد وظف التوحيدي الطباق والجناس والمقابلة في كتابه خير توظيف لأن شخصية متمردة تتجه نحو الاختلاف والحق أن الشخصية التي تعمل على وفق مبدأ الخروج عن العرف السائد هي شخصية حية ومنتجة لأنها اختلافية والاختلاف هو سبب تجديد المعاني وانبثاق الابداع.[3]

فاهتم التوحيدي، بالبلاغة تعريفا ونظاما وشروطا وفنونا وضروبا عند العرب وعند غيرهم من الشعوب، وقد رأى في البلاغة العربية ضرورة في الكلام لأن الكلام صورة المفكر، ولأن الغاية التوضيح والتميز، والإمتاع، وجذب المتلقي ولا يمكن الاستغناء عند موازنة الكلام، وتشقيق الألفاظ وإيضاح المعنى ف"البلاغة زائدة على الإفهام الجيد بالوزن والبناء، والسجع، والتقفية والحيلة الرائع، وتخير اللفظ وإحضار الزينة بالرقة والجزالة."[4] ومن أهداف البلاغة

[1] – عبد الرزاق محي الدين أبو حيان التوحيدي سيرته، آثاره، المؤسسة العربية للدراسات والنشر الطبعة الأولى، القاهرة 1949، الطبعة الثانية، بيروت 1979، ص133.

[2] – أبو حيان التوحيدي، المقابسات، ص57.

[3] – فرحان بدري كاظم، زينب علي عبيد، النسق اللفظي والسطع الثقافي، الصنعة والسلطة عند أبي حيان التوحيدي، مجلة جامعة بابل، العلوم الانسانية، المجلد 24، العدد 2016، ص 1082.

[4] – أبو حيان التوحيدي، المقابسات، ص109.

اجتلاب الحلاوة المذوقة بالطبع واجتناب النبوة المحجوبة بالسمع كما رأى في البلاغة العربية علما وجعل لها منزلة في مقدمة علوم العربية من فقه ونحو ولغة منطق وحساب وهندسة...الخ.

فقد تناظرت الثنائيات الإبداعية عند التوحيدي منطقيا، ويتولد بعضها من بعض، ولعل أول ثنائية تناظر الطبع والصنعة هي ثنائية المضمون والشكل، فالمضمون هو تجسيد الفكر وهو أقرب إلى الطبع ويقابل مرحلة يسميها التوحيدي "الصوغ الطباعي" ويقصد به الترجمة العفوية للخواطر والأفكار والإلهامات التي تلمع في النفس نتوجه بقوة البديهية وإبداع الخيال.[1]

وأقل ما يشترط في تركيب ألفاظ النص الإبداعي هو أن تقيده فائدة أولية وخالية من الغموض والإبهام، فالتركيب هو الذي يؤمن مسلك الفهم الصحيح لدى المتلقي، على أساس الألفاظ وسائط بين النطق والسامع حسب قول أبي حيان التوحيدي "فألفاظ وسائط بين الناطق والسامع فكلما اختلفت مراتبها على عادة أهلها كان وشيها أروع وأجهر والمعاني جواهر النفس، فكلما ائتلفت على شهادة العقل كانت صورتها أنصح وأفضح.[2]

ويروي التوحيدي مناظرة جرت بين أستاذه أبي سعيد السيرافي ومتى بن يونس القنائي في المفاضلة بين النحو العربي والمنطق اليوناني، مبينا قدرة أبي سعيد البلاغية وبراعته في الإقناع وتبحره في النحو وإلمامه الواسع بالغة، وبعد أن يسرد وقائع المناظرة بأسلوبه الشيق كعادته يعمد إلى التعليق معجميا بعلم أبي سعيد مبينا مكانته العلمية والأدبية فكان من جواب: "أبو سعيد أجمع لشمل العلم وأنظم لمذاهب العرب وأدخل في كل باب وأخرج من كل طريق، وألزم للجادة الوسطى في الدين والخلق وأروى في الحديث وأقضى في الأحكام وأفقه الفتوى وأحضر بركة على المختلفة.[3]

[1] – أبو حيان التوحيدي، ابراهيم الكيلاني، ص03.

[2] – أبو حيان التوحيدي، المقابسات، ص145.

[3] – المصدر نفسه، ص58.

يتحدث التوحيدي في المقابسات على تكامل الحس والعقل، فكل منها يشبع حاجة في الإنسان "ولما كنا بالحس في أصل الطبيعة لم ننفك منه، ولما كنا بالعقل في أول الجوهر لم نجهل فضله."[1] واللقاء بين الحس مصدر الطبع والعقل مصدر الصنعة هي مقابلة بين مشتاق وشائق، وقد رأى الدكتور الرباعي في مقالته "التفكير النقدي في المقابسات" أن هذه المقابلة بين المشتاق والشائق توحي بأنهما يعملان في خطين متخالفين إن لم يكونا متناقضين لكنهما يلتقيان في الوسط ليؤلفا كلا واحدا.[2]

كما لاحظ الدكتور الرباعي أن ثنائية الحقيقة والاستعارة وهي ثنائية ذات بعد ديني، فالحقيقية هي الله تعالى، والطريق إليها هي طريق العقل والاستعارة والخيال عموما فهو الصنعة بوصفها محاكاة الألوهية والتروع نحو الحق والعدالة.[3]

- ثنائية العقل والحس الأساس الأول والأهم الذي بنى عليه التوحيدي أفكاره الفلسفية بعامة والأدبية بخاصة.
- ثنائية الطبيعة والنفس: الترتيب التنازلي لهاتين القاعدتين بالنسبة للغة كالتالي أولهما العقل والنفس ثانيا والطبيعة ثالثا.[4]

فالأدبية عند أبي حيان عائدة إلى ثلاثة عوامل أساسية هي الغرابة والتعجيب ثم التخيل، فكلما اقترنت الغرابة والتعجيب كان ذلك أبدع فجودت التأليف وحدها غير كافية لأحداث اللذة أو التعجب حركة نفسية كلما ازداد انفعالها مع النص قوي خياليا وكلما قوي خياليا قوى انفعالها وتأثرها.[5]

[1] – أبو حيان التوحيدي، المقابسات، ، ص105.

[2]– المصدر نفسه، ص105.

[3] – عبد القادر الرباعي، التفكير النقدي في المقابسات، مجلة فصول، مجلد 15، العدد الأول، ص 10.

[4] – المرجع نفسه، ص05.

[5] – عميش عبد القادر، أدبية النص في كتابات أبي حيان التوحيدي، ص319-320.

خلاصة الفصل:

قد صاغ التوحيدي المقابسات بأسلوب بلاغي وأدبي قرب المسافة الفاصلة بين الأدباء والمثقفين، كان حريصا كل الحرص على اختياراته اللغوية، فاعتمد على الأسلوب السهل وكان دقيقا في جل ألفاظه وفي طريقة طرحها وذلك من أجل الوصول إلى الهدف المنشود، فقد اعتمد على التركيب لأنه يلتمس فيه القدرة على جذب القارئ وإقناعه فكان له دور فعال في عملية اقناع المتلقي، فهو يتسلسل به من أول مقابسة إلى آخرها بلغة عذبة ومقنعة يستطيع أن يفهمها ويرى فيها رونق الجمال والبيان، وبهذا يكون د انتقى ألفاظه وعباراته بدقة وتحميص لعبر عما أراده، ولا يفوتنا الإشارة أيضا إلى العناية الشديدة بصيغ الكلمات عناية من شأنها أن تضيف للمقابسات طاقة إيجابية.

خاتـــمة

خاتمة:

في ختام هذه الدراسة المتمثلة في البحث عن "أدبية الخطاب الفلسفي في كتاب المقابسات" والتي حاولنا من خلالها معاينة تلك المحاورات بوصفها تهدف إلى الامتاع والمتعة والتجديد معا فإنه يمكن استعراض النتائج المتوصل إليها على النحو التالي:

- صاغ لنا التوحيدي المقابسات بأسلوب بلاغي وأدبي قرب لنا المسافة الفاصلة بين المشتغلين بالفلسفة من ناحية والأدباء والمثقفين من ناحية أخرى.
- استطاع التوحيدي أن ينقل لنا صورة حقيقية مفصلة عما وصلت إليه الحضارة من رقي أدبي وفلسفي وذلك من خلال أسلوبه المتفرد بلغة خاصة أعطت رونقا جميلا في كتابه المقابسات.
- تعدد مناحي التفكير عند أبي حيان التوحيدي، فتلونت ثقافته وولوعه بالمعارف الأدبية والفلسفية والفكرية.
- تلونت الكتابة عند التوحيدي بأسلوب الخطاب الأدبي والفلسفي أي فلسفي بصيغة أدبية محضة.
- استخدم التوحيدي أدبية الحجاج وذلك بغية الاقناع والتأثير وإيصال المراد منه.
- حرص التوحيدي كل الحرص في اختياراته اللغوية والتركيبية، فقد اختار كل لفظة ووضعها في مكانها المناسب من أجل تحقيق الهدف المنشود، وألفاظه وجل عباراته لم تكن عشوائية بل مضبوطة تصب في صلب الكتل النثرية الأدبية.
- أسلوب التوحيدي في اختار ألفاظه وتوظيفها ينمو على دربة ألفاظ لغوية كبيرة ومعرفة واسعة بالمعاني، وعليه فلم تكن المقابسات ميدان للتلاعب بألفاظ ولا مضمار لتسابق الحروف بل كانت لوحة تتجلى معالمها عند كل كلمة حتى يتحقق الكمال والجمال عند آخر كلمة يخطبها.

- الغاية المنشودة من كتاب المقابسات الذي ألفه أبو حيان التوحيدي هي الإفهام المؤدي إلى الإقناع.

وعليه وأخيرا يمكن لنا القول أن مقابسات أبو حيان التوحيدي كانت نصوص فلسفية بصيغة أدبية بالدرجة الأولى تميز وأبدع التوحيدي في كتابتها في أبهى صورها، كما استطاع من خلال الأدبية الوصول إلى أهدافه عن طريق المحاورات والمناظرات فهو بالتالي حقق المتعة الأدبية بالوسائل والأساليب البلاغية باستخدام استراتيجية الأدبية.

قائمة المصادر

والمراجع

القرآن الكريم

أولا: المصادر:

1. أبو حيان التوحيدي، الامتاع والمؤانسة، تح: أحمد أمين، منشورات دار المكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ج1.
2. أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، مج03، تح: إبراهيم الكيلاني، مطبعة الانشاء، 1964، أبو حيان التوحيدي، الامتاع والمؤانسة، تح: أحمد أمين، منشورات دار المكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ج1.
3. أبو حيان التوحيدي، المقابسات، حققه وقدمه محمد توفيق حسين، دار الأدب، الطبعة الأولى، بغداد، الطبعة الثانية، 1979.
4. أبو الحسن ابن طباطبا، عيار الشعر، تح، عبد العزيز بن ناصر، نشر الخانجي، القاهرة.
5. ابن خلدون المقدمة – الدار التونسية للنشر، تونس، ج2، الطبعة الأولى، 1984.
6. ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ط1، تحقيق محمد شاكر، 1994.
7. ابن فارس أبوالحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، معجم مقاييس اللغة ، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1999.
8. ابن منظور، لسان العرب، مج1، ج1، تح عبد الله على الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1981.
9. أرفيد كوليه، المدخل إلى الفلسفة، مكتبة دار النهضة المصرية، الطبعة الخامسة.
10. أفلاطون كرانليوس، الترجمة العربية د.عزمي طه السيد، منشورات وزارة الثقافة الأردنية، عمان.
11. تزفيتان تودوروف، الشعرية، تر: شكري المبخوث ورجاء بن سلامة، دار تويقال للنشر والتوزيع، المغرب، ط1، 1987.
12. التهانوي محمد بن علي ابن القاضي، كشاف الاصطلاحات الفنون، مكتبة لبنان، بيروت، ط1، ج1، 1996.
13. توفيق الزبيدي، مفهوم الأدبية في التراث النقدي إلى نهاية القرن الرابع، منشورات عيون الدار البيضاء، ط2، 1987.

14. السيد محمد أبو الفيض المنوفي، تهافت الفلسفة، دار الكتاب العربي بيروت، طبعة سنة 1967،
15. عبد الأمير الأعسم، أبو حيان التوحيدي في كتاب المقابسات، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط2، 1983.
16. عبد الرزاق محي الدين أبو حيان التوحيدي سيرته، آثاره، المؤسسة العربية للدراسات والنشر الطبعة الأولى، القاهرة 1949، الطبعة الثانية، بيروت 1979.
17. القاموس المحيط الفيروز أيادي مجد الدين محمد بن يعقوب، تحقيق مكتب تحقيق التراث مؤسسة الرسالة، ط6، 1998.
18. قاموس الياس العصي، إلياس انطون إلياس دار الجبيل ، بيروت1972.
19. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط4، 2004.
20. ميخائيل نعيمة، الغربال، مؤسسة نوفل، بيروت، لينان، ط12، 1983.
21. ميشال فوكو، حفريات المعرفة، ترجمة سالم يقوت، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، المغرب، الطبعة الثانية، 1987.

ثانيا: المراجع:

1. أبو حيان التوحيدي، ابراهيم الكيلاني 62، نقلا عن كتاب روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات، لمحمد باقر الموسوي الخونساري، طبعة حجرية طهران.
2. بكري الشيخ أمين، البلاغة في ثوبها الجديد، دار العلم للملايين بيروت، ط6، 1999.
3. بن ظافر الشهري عبد الهادي، استراتيجيات الخطابات المعرفية التداولية، دار الكتب المتحدة، ط1، بيروت، لبنان، 2004.
4. بير جيرو، منذر عياشي، الأسلوبية، مركز الانماء الحضاري، سوريا حلب، ط2، 1994،
5. حرب علي، نقد الحقيقة، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2000م.
6. الزاوي بوغورة، مفهوم الخطاب في فلسفة ميشال فوكو، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.

7. سالم يقوت، حفريات المعرفة العربية الاسلامية، دار الطبعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 1990.
8. الشيخ شبر الفقيه، الخطاب الفلسفي المعاصر من العام إلى الأعم، دار قباء، مصر، 2000،
9. عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط5، يناير 2005.
10. عبد السلام المسدي، المصطلح النقدي، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع، تونس، 1994.
11. عبد السلام هارون وآخرون: المعجم الوسيط، إشراف شوقي ضيف، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مصر، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2004.
12. عبد القادر شرشار، تحليل الخطاب السردي وقضايا النص، دار القدس العربي للنشر والتوزيع، ط1، 2009.
13. عبد المالك مرتاض، نظرية النص الأدبي، الطبعة الثانية، 2010، دار الطباعة والنشر الجزائر، ط2، 2010.
14. عزة السيد أحمد، من رسائل أبي حيان التوحيدي، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق، 2001.
15. العياشي أدراوي، الحوار الاختلافي أو المسلك التناظر الكلامي، مساهمة في إعادة بناء أصول التخاطب، افريقيا الشرق، 2012.
16. فرحان بدري الحربي، الأسلوبية في النقد الحديث دراسة في تحليل الخطاب، طبعة الأولى، 1424-2003.
17. مانغونو دومينيك، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، دار العربية للعلوم، ط1، لبنان، 2008م.
18. محمد السيد، الخطاب الفلسفي من العام إلى الأعم، دار القباء، مصر، 2000.
19. محمد الشاهد، الخطاب الفلسفي المعاصر من العام إلى الأعم، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.

20. محمد غلاب، الفلسفة الاغريقية، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثانية، ج1.
21. محمد يعقوبي، أصول الخطاب الفلسفي، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1995.
22. مكناسي صفية، الخطاب الأدبي بين الحجاجية والشعرية في التفكير النقدي عن حازم القرطاجني، دار كوكب العلوم، 2019.
23. ناظم عود خضر، الأصول المعرفية لنظرية التلقي، دار الشروق، عمان، الطبعة الأولى، سنة 1997.
24. نعيمة الزهري، تحليل الخطاب في نظرية النحو الوظيفي، دار الأمان، الطبعة الأولى، 1435-2014.
25. نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب الأدبي دراسة في النقد الحديث (تحليل الخطاب الشعري والسردي، الجزء2، دار هومة، 2010.
26. هدى الخوالي، الفلسفة اليونانية في القرن السادس إلى القرن الرابع قبل الميلاد، دار الطباعة والنشر.

ثالثا: الرسائل والمجلات:

1. بن علي مسعود، الكندي وتأسيس الخطاب الفلسفي الإسلامي، مركز البحث في العلوم الانسانية والحضارة، الأغواط، مجلة تربية عمل، العدد 2016/12/2.
2. شيخ أمال، البنية الحجاجية في كتاب المقابسات لأبي حيان التوحيدي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، تخصص أدب عربي، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة المسيلة، 2010/2009.
3. عبد القادر الرباعي، التفكير النقدي في المقابسات، مجلة فصول، مجلد 15، العدد الأول.
4. عبد الكريم الجمعاوي، الخطاب الأدبي وعلاقته بالحقول المعرفية، المجلة، الفهرس 90-81.
5. عمر ابن عبد العزيز، خصوصية الخطاب الأدبي وجمالية الانزياح، الجزيرة الثقافية، العدد 359، 05-01-2012.

6. عميش عبد القادر، أدبية النص في كتابات أبي حيان التوحيدي، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه دولة، 2000-2001، جامعة وهران،2000-2001.
7. عيساني محمد، أصول النقد والتجديد في الخطاب الفلسفي العربي الإسلامي الوسيط (من خلال رسائل الكندي)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في الفلسفة، جامعة وهران،2011/2010،
8. فرحان بدري كاظم، زينب علي عبيد، النسق اللفظي والسطع الثقافي، الصنعة والسلطة عند أبي حيان التوحيدي، مجلة جامعة بابل، العلوم الانسانية، المجلد 24، العدد 2016.
9. المختار الفجاري ،تأصيل الخطاب في الثقافة العربية، مجلة الفكر العربي المعاصر، ع 100-101، 1993.
10. نبيل موميد ، حدد الخطاب بين النسقية والوظيفية، مجلة فكرية وثقافية، المغرب، عدد 89، ماي 2007.
11. هامل لخضر، حجاجية الخطاب النثري القديم المقابسات للتوحيدي أنموذجا، رسالة مدمة لنيل شهادة دكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والفنون، جامعة أحمد بن بلة1، وهران، السنة 2018-2019.

رابعا: المقالات:

1. زهيرة بنيني، جماليات الخطاب الأدبي على ضوء الدراسات النقدية الحديثة.
2. رسالة الكندي في حدود الأشياء، ضمن رسائل الكندي الفلسفية (121-123) تحقيق محمد عبد الهادي أبو زيد الفكر العربي.
3. يوسف القصير، قراءة في آفاق فلسفية بعنوان "الخطاب الفلسفي انبثق من النظريات الفلسفية المحضة بمعاير متجددة وخرج بمفاهيم (سوسيو-بيداغوجية) مختلفة نقلت الفكر الفلسفي إلى مضمون شامل وأوسع بقلم .
4. مقالة المرسال، ما هو الخطاب الفلسفي كتابة Tomadham آخر تحديث 22 مارس 2021.
5. هبة الله محمد، ما هي مميزات الخطاب الفلسفي، المرسال، 08 مارس 2021.

خامسا: المواقع الالكترونية:

1. إبراهيم ياسين، قضايا أدبية في كتاب المقابسات، أنفاس يوليو 2008، aya ghafir 25 مارس 2021، www.ralhal.com.
2. خضرة حمراوي، بين الخطاب الأدبي والخطاب الفلسفي، بحث في الخصوصية، مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية والاجتماعية، volume 11، n21، p357,372، 01-06-2021.
3. سليمة محفوظي، الخطاب الأدبي، المعرفة، m.marefa.org .

سادسا: المحاضرات:

1. محمد ملياني، محاضرات في تحليل الخطاب لطلبة ل.م.د السداسي الخامس، تخصص دراسات أدبية كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان.

فهرس الموضوعات

العناوين	الصفحة
البسملة	
شكر وعرفان	
إهداء	
مقدمة	أ
مدخل	01
الفصل الأول: الخطاب الأدبي والخطاب الفلسفي	
المبحث الأول: ماهية الخطاب	12
المبحث الثاني: الخطاب الأدبي	21
المبحث الثالث: الخطاب الفلسفي	29
خلاصة الفصل	43
الفصل الثاني: تجليات الأدبية في كتاب المقابسات	
المبحث الأول: الأدبية	45
المبحث الثاني: أدبية الحجاج في المقابسات	52
المبحث الثالث: بلاغة تركيب الألفاظ والمعاني	57
خلاصة الفصل	67
خاتمة	69
قائمة المصادر والمراجع	72

الملخص:

المقابسات كتاب عبر فيه أبو حيان التوحيدي عن قضايا فلسفية بأسلوب إبداعي بلاغي بصيغة أدبية، وهي حلقات ومناظرات حضرها التوحيدي عن علماء وفلاسفة عصره عبروا فيها عن مشاكل الحياة والفكر التي كانت سائدة آنذاك، نقلها التوحيدي بأسلوب سهل حيث كان دقيقا في اختيار تركيبة ألفاظه ذلك بغية الوصول للهدف المنشود وهو جذب القارئ وإقناعه بالأساليب التي اعتمدها في مقابساته، وفعلا كان له الدور البارز والفعال في نقل أفكاره من خلال كتابه، فهو الرؤيا التي من خلالها استطعنا اكتشاف التوحيدي وطريقة تفكيره.

Sommaire:

Al-Mugabesat est un livre dans lequel Abu Hayyan al-Tawhidi a exprimé des questions philosophiques de manière créative et rhétorique sous une forme littéraire. Le but recherché, qui est d'attirer le lecteur et de le convaincre des méthodes qu'il a adoptées dans ses interviews, et en fait il a eu un rôle éminent et efficace dans la transmission de ses idées à travers son livre, c'est la vision à travers laquelle nous avons pu découvrir Al-Tawhidi et sa façon de penser.

Summary:

Al-Mugabesat is a book in which Abu Hayyan al-Tawhidi expressed philosophical issues in a creative, rhetorical manner in a literary form. The desired goal, which is to attract the reader and convince him of the methods he adopted in his interviews, and in fact he had a prominent and effective role in conveying his ideas through his book, it is the vision through which we were able to discover Al-Tawhidi and his way of thinking.